

أحسن تفسير للقرآن الكريم في تاريخه المجدد - اللهم بفضله تعالى

مَعَالِمُ الْإِيمَانِ

وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ

الجزء التابع والثلاثون

سورة البقرة (الآيات)

المراجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح الطائي

امام في الفقه والاصول والتفسير والادب



**قوله تعالى ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ  
بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ لَبِثْتُمْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْنَا مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى  
طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى  
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية ٢٥٩.**

### الإعراب واللغة

او: حرف عطف، الكاف: حرف جر زائد، وقيل: اسم بمعنى  
مثل وانه للتعجب، وعلى القول بان الكاف اسمية يكون الذي  
مضاف اليه، وجملة ﴿ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ صلة الموصول.

وهي خاوية: الواو حالية، هي: مبتدأ، خاوية: خبر.  
فاماته: الفاء: عاطفة، اماته الله: فعل وفاعل ومفعول به.  
مائة: ظرف زمان، عام: مضاف اليه.

كم لبثت: كم: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية.  
لبثت: فعل ماض والضمير فاعل تقديره انت.

فانظر: الفاء الفصيحة، انظر: فعل امر، ولنجعلك: الواو استئنافية  
وقيل عاطفة، اللام: للتعليل، نجعل: فعل مضارع منصوب بان  
مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، الكاف:  
مفعول به اول.

لم يتسنه: لم: حرف نفي وقلب وجزم.  
كيف ننشزها: كيف: اسم استفهام في محل نصب حال، ننشزها:

٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

فعل مضارع مرفوع، الهاء: مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

ثم نكسوها لحماً: ثم: حرف عطف للترتيب وتفيد التراخي، نكسوها: فعل مضارع، الهاء: مفعول به اول، لحماً: مفعول به ثان. فلما تبين له: فلما: الفاء عاطفة على مقدر بلحاظ السياق ظرفية غير جازمة، تبين: فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر يتعلق بكيفية حصول الأحياء.

ومعنى خاوية مهدومة وساقطة من خوى النجم أي سقط، كما انها تفيد معنى الخلو أي خالية يقال خوى المنزل من اهله أي خلا من اهله، ولا تعارض بين الأمرين لأن المعنى انها خلت من سكانها وخرت على اركانها.

والعروش جمع عرش وهو ما يستظل به، قال الأزهري: وقد رأيت العرب تسمي المظال التي تسوى من جريد النخل وي طرح فوقها التمام عرشاً، بضم العين والراء. والنشز: المكان المرتفع، وكيف نشزها أي نرفعها الى مواضعه.

### في سياق الآيات

بعد ذكر المحاججة بين النبي ابراهيم عليه السلام والملك الكافر، جاءت هذه الآية لتبين صفة مشرقة اخرى من البرهان والحجة التي تقوم بطرف واحد من البشر، بينما يكون الإحتجاج بين طرفين، لإظهار سعة فضله تعالى وتعدد الدليل وطرق اقامة الحجة كما انها جاءت هنا على نحو عقلي محسوس مدرك بالواقع والوجدان.

ان ابتداء الآية بحرف العطف والترديد (او) يدل على وحدة السياق والموضوع بينها وبين الآية السابقة ومن وجوه الشبه والإلتقاء مسألة الإحياء والإماتة اذ جاءت هنا على نحو الواقع والبرهان

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٤

العملي، واذ جاءت الاية السابقة ببرهان جوارى مع الملك فان هذه الآية تتعلق بموضوع ودليل يدركه ويحس به كل انسان.

### اعجاز الآية

تجتمع في هذه الآية مفاهيم اعجازية عديدة بلحاظ لغة التحدي والبرهان وعظيم قدرته تعالى وحصول البعث على نحو القضية الشخصية في آية اخرى للناس، تحملهم قهراً على التفكير بآيات الله وتلح عليهم في الدعوة الى الإيمان والخشية منه تعالى. وفي الآية غنى عن الإحتجاج مع الكفار لأنها حجة نوعية مطلقة وظاهرة للعيان وفيها تخفيف عن المسلمين، ومن اعجاز الآية قراءة الآثار قراءة ايمانية وتسليط الأضواء على دلالتها ومعانيها قبل ان يهتم العالم الحديث بالآثار.

### الآية سلاح

الآية عون لكل مسلم ودعوة الى الله عز وجل وهي برهان حاضر نوعي ولا تستلزم مخاطرة المؤمن بنفسه وتعريضها للتهلكة بمواجهة ملوك الضلالة والشرك وتذكيرهم بوظائفهم العبادية، لأنها وحدها تذكرة وموعظة وانذار ووعيد وتخويف.

### مفهوم الآية

لا يخفى على احد ان كل ما في الكون آية تدل على بديع صنعه سبحانه وان هذه الآيات تجذب العقول وتحثها كرهاً على التدبر في الخلق بما تتصف به من الحركة والتقلب والسكون، والتغير وما تجلبه من النفع او الضرر الطارئ، فليس من آية منها الا وهي شاهد وبرهان يؤكد وجود الصانع ويمنع من الغي والكفر والجحود، واذ تستحوذ على الإنسان اهوؤه ويغلب عليه الشيطان ويلهث وراء الدنيا وزينتها يفوته الإلتفات الى الآيات واسباب التذكير والموعظة

٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

فيأتي البرهان من داخله ومن ذاته كأنسان سواء جاء هذا البرهان بشخص ونفس النبي او المؤمن او الكافر، فكل واحد منهم يصلح ان يكون درساً وعبرة وموعظة نعم المؤمن يثاب ويؤجر، والكافر يؤثم ويتلقى اشد العقاب.

وتبين الآية تعدد صيغ البرهان لتكون رحمة متجددة ومراقبة للهداية والإيمان وباباً للتوبة والإنابة، لقد جاءت الآية بموضوع للبرهان يراه كل انسان ويمر به كل ذي عينين ولا يعني هذا التباين بين موضوع الآية السابقة التي تتعلق بالاحتجاج على الملك ودعوته وقومه الى الإسلام، فالآية السابقة خاصة ولكن حكمها عام وهي دعوة للناس جميعاً من خلال الملك الكافر واعوانه.

ومن مفاهيم الآية انها دعوة للتفكر فيما على الأرض من معالم واعمار وخراب، وعدم تضييع أي مناسبة يمكن ان توظف للهداية والرشاد، وتمنع الآية من اليأس والقنوط ولزوم استحضر الآخرة واهوال الآخرة.

ان قدرته تعالى على الإحياء امر لا ينحصر بيوم القيامة وعالم البعث والنشور بل ان الإماتة والإحياء امر ممكن في أي ساعة من ساعات الدنيا وايامها.

ان الإنسان بذاته آية ولكن هذه الآية تخبر عن آيات مستحدثة متفرعة من ذات الآية بلحاظ الإعجاز الإضافي الذي تمثل بالإماتة والإحياء المتأخر زماناً عن الإماتة والآية تنهى في موضوعها وأحكامها عن مفاهيم الشرك وتحذر من الضلالة والجحود.

ومن مفاهيمها انها تحذر من الشك في قدرته والتعدي بالتساؤل المنافي لأدب العبودية ولزوم التسليم بعظيم قدرته تعالى وصحة الأخبار عن البعث والنشور وان بعث الإنسان بالأولوية.

## موضوع الآية

في الآية اخبار عن حصول واقعة لشخص ما جاء القرآن لتوثيقها وجعلها آية خالدة وموعظة وعبرة من خلال ذكرها في كتابه الخالد الى يوم القيامة واختلف في الشخص الذي مر على القرية على اقوال: الأول: انه كافر وشاك في البعث والنشور، ونسب هذا القول الى مجاهد.

الثاني: كان مسلماً، وهو المشهور واختلف في شخصه على اقوال:

- ١- انه عزيز، وبه قال قتادة وعكرمة والسدي، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام.
  - ٢- هو ارميا وبه قال ابن عباس وعطاء ووهب، وهو المروي عن الإمام الباقر عليه السلام.
  - ٣- هو الخضر عن ابن اسحاق، وقال ان ارميا هو الخضر. وروي عن ابن عباس في الآية قال: ان يختصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم فأرسل الملك إلى ارميا فجاءه فقال يا ارميا الملك أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى اليك ألا هلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الامر في ذلك فقال ارميا الملك ان ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما اقترب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله تعالى على هلاكهم بعث الله عزوجل ملكا من عنده فقال له اذهب إلى ارميا واستفتته وأمره بالذي يستفتيه فيه.
- فأقبل الملك إلى ارميا قد تمثل له رجلا من بنى اسرائيل فقال له ارميا من أنت قال أنا رجل من بنى اسرائيل أستفتيك في بعض أمرى فأذن له فقال له الملك يا نبي الله أتيتك أستفتيك في أهل رحمتي وصلت أرحامهم بما أمرني الله به لم آت إليهم الا حسنا ولم آلهم

٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

كرامة فلا تزيدهم كرامتي اياهم الا إسخاطا لي فأفتني فيهم يا نبي الله، فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله أن تصل وأبشر بخير.

قال فانصرف عنه الملك فمكث أياما ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي كان جاءه فقعد بين يديه، فقال له أرميا من أنت قال أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهل رحمي، فقال له نبي الله أو ما طهرت لك أخلاقهم بعد ولم تر منهم الذي تحب قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمه الا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك.

فقال النبي: ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم واسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته ويجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بنى اسرائيل فدعا أرميا فقال يا نبي الله أين ما وعدك الله فقال إني بربي واثق.

ثم ان الملك أقبل إلى أرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له أرميا من أنت قال أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له النبي أو لم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه وأعلم ان مآلهم في ذلك سخطى فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضاه الله ولا يحبه قال له النبي على أي عمل رأيتهم قال يا نبي الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه من قبل اليوم ولم يشتد غضبي عليه وصبرت لهم ورجوتهم ولكني غضبت اليوم

معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ٨

لله ولك فأتيتك لاخبرك خبرهم وانى أسألك بالله الذى هو بعثك  
بالحق الا ما دعوت عليهم أن يهلكهم الله، قال أرميا يا ملك  
السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا  
على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكم.

فلما خرجت الكلمة من في أرميا أرسل الله عزوجل صاعقة من  
السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب  
من أبو ابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ التراب على  
رأسه وقال يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين أين ميعادك الذى  
وعدتني فنودى يا أرميا إنه لم يصبهم الذى أصابهم إلا بفتياك التى  
أفتيت بها رسولنا النبي انها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرات وإنه  
رسول ربه وطار أرميا حتى خالط الوحوش.

ودخل بمختصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بنى  
إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل  
رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فكدفوا فيه التراب  
حتى ملؤه ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل واحتمل مع سبايا بنى  
اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمع  
عنده كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختر منهم مائة ألف صبى.  
فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمهم فيهم قالت له الملوك  
الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء  
الصبيان الذى اخترتهم من بنى اسرائيل ففعل فاصاب كل رجل  
منهم أربعة غلّمة وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وغزاريّا  
وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط  
يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط أشر بن  
يعقوب وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون بن يعقوب ونفثالى بن  
يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب وأربعة

٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب.

ومن بقى من بنى اسرائيل وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلاثا اقرا  
بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب باثنية بيت المقدس حتى اقدمها  
بابل وذهب بالصبيان السبعين الالف حتى اقدمهم بابل وكانت هذه  
الوقعة الاولى التى انزلها الله ببني اسرائيل باحداثهم وظلمهم.  
فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بنى  
اسرائيل اقبل ارميا على حمار له معه عصير من عنب في ركوة وسله  
تين حتى غشى ايليا.

فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك فقال انى  
يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام وحماره وعصيره وسله  
تينه عنده حيث اماته الله وامات حماره معه واعمى الله عنه العيون  
فلم يره احد ثم بعثه الله فقال له ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ  
لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ يقول لم يتغير ﴿ وانظر  
إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَشَرْنَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ .  
فنظر الى حماره يتصل بعض الى بعض وقد كان مات معه  
بالعروق والعصب ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ثم  
جرى فيه الروح فقام ينهق ثم نظر الى عصيره وتينه فاذا هو على  
هيئته حين وضعه لم يتغير فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال اعلم  
أن الله على كل شئ قدير، ثم عمر الله ارميا بعد ذلك فهو الذى  
يرى بفلوات الارض والبلدان.

ثم ان بختنصر اقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم ثم رأى رؤيا  
فبينما هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذى كان رأى  
فدعا دانيال وحنانيا وعزارياء وميشائيل من ذرارى الانبياء فقال

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٠

أخبروني عن رؤيا رأيها ثم أصابني شئ فانسانها وقد كانت أعجبتني ما هي قالوا له أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال ما أذكرها وإن لم تخبروني بتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله واستغاثوا وتضرعوا إليه وسألوه أن يعلمهم إياها فأعلمهم الذي سألمهم عنه.

فجاؤه فقالوا له رأيت تمثالا قال صدقتم قالوا قدماه وساقاه من فخار وركبته وفخذه من نحاس وبطنه من فضة و صدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك فارس الله عليه صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها قال صدقتم فما تأويلها.

قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك فكان بعضهم ألين ملكا من بعض وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض وبعضهم كان أشد ملكا من بعض فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن ثم كان فوق الفضة الذهب فهو احسن من الفضة وافضل ثم كان الحديد ملكك فهو كان أشد الملوك وأعز مما كان قبله.

وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقته نيبا يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر إليه.

ثم ان أهل بابل قالوا لبختنصر رأيت هؤلاء الغلمان من بنى اسرائيل الذين كنا سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا والله لقد انكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا علقن بهم وصرفن وجوههن إليهم فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم قال شأنكم بهم فمن احب منكم ان يقتل من كان في يده فليفعل فاخرجوهم.

فلما قربوهم للقتل تضرعوا إلى الله فقالوا يا ربنا اصابنا البلاء

١١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

بذنوب غيرنا فتحزن الله عليهم برحمته فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم وكان ممن استبقى منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل.

ثم ان الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصر انبعث فقال لمن كان في يده من بنى اسرائيل أرايتم هذا البيت الذي أخربت وهؤلاء الناس الذين قتلتم من هم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والارض ورب الخلق كلهم يكرمهم يمنهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم.

قال فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا لعلني أطلع إليها فاقتل من فيها وأتخذها ملكا فاني قد فرغت من الارض ومن فيها قالوا له ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق قال لتفعلن أو لاقتلنكم عن آخركم فبكوا إلى الله وتضرعوا إليه.

فبعث الله بقدرته ليريه ضعفه وهو انه سلط عليه بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه حتى عضت بأمر دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله إذا مت فشقوا رأسي فانظروا ما هذا الذي قتلني. فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأمر دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله من كان بقى في يديه من بنى اسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى الشام وإلى ايليا المسجد المقدس فبنوا فيه وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون والله أعلم ان الله أحيا أولئك الموتى الذين قتلوا فلحقوا بهم.

ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله كانت

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٢

التوراة قد استلبت منهم فحرقته وهلكت وكان عزيز وكان من السبايا الذين كانوا يبابل فرجع إلى الشام يبكى عليها ليله ونهاره قد خرج من الناس فتوحد منهم وإنما هو بيطون الاودية وبالفلوات يبكى فيبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها إذ أقبل إليه رجل وهو جالس فقال يا عزيز ما يبكيك قال أبكى على كتاب الله وعهده كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا وغضب ربنا علينا أن سلط علينا عدونا فقتل رجالنا وأخرب بلادنا وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره أو كما قال فعلم أبكى إذا لم أبك على هذا.

قال أفتحب أن يرد ذلك عليك قال وهل إلى ذلك من سبيل قال نعم ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا، فرجع عزيز فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسنتها وفرائضها وحدودها فاحبوه حبا لم يحبوه شيئا قط وقامت التوراة بين أظهرهم وصلح بها أمرهم وأقام بين أظهرهم عزيز مؤديا لحق الله ثم قبضه الله على ذلك ثم حدثت فيهم الاحداث حتى قالوا لعزير هو ابن الله (١).

وعدم ذكر اسم المار ولا ملته وصفاته ومدى ايمانه من اعجاز القرآن، والإبهام من وجوه البلاغة.

وفي تفسير القمي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل: "فخرج ارميا على حماره ومعه تين قد تزوده ، وشئ من عصير،

---

(١) تاريخ الطبري ٣٩٢/١.

١٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
فنظر إلى سباع البر وسباع البحر وسباع الجو تأكل تلك الجيف، ففكر في نفسه ساعة ثم قال أنى يحيى الله هؤلاء وقد أكلتهم السباع ، فأماته الله مكانه مائة عام ثم بعثه أي أحياه فلما رحم الله بنى اسرائيل وأهلك بخت نصر رد بنى اسرائيل إلى الدنيا ، وكان عزيز لما سلط الله بختنصر على بنى اسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها .  
وبقى ارميا ميتا مائة سنة ثم أحياه الله ، فأول ما أحيى منه عينيه في مثل غرقى البيض فنظر فأوحى الله إليه ﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا ﴾ ، ثم نظر إلى الشمس قد ارتفعت فقال ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فقال الله تبارك وتعالى قد ﴿ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنْهَ ﴾ أي لم يتغير ﴿ وانظر إلى حمارك ولتجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً ﴾ ، فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع إليه، والى اللحم الذى قد أكلته السباع يتألف إلى العظام من هنا وهي هنا، ويلتزم بها حتى قام وقام حماره، فقال ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

### التفسير

قوله تعالى ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ ﴾ اطلالة جديدة تبعث النشاط الذهني عند الإنسان وتجعل في آية اعجازية يومية يشهدها الإنسان في سفره، وهي اليوم اعم من السفر اذ تواجه الإنسان حتى في عند حضره واقامته لوسائل الإعلام .  
ومن الإعجاز ان هذه الآية جاءت متقدمة في زمانها لتكون سلاحاً إيمانياً يواجه الناس وحرزاً يمنع من الضلالة والإنشغال بالآثار

معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ١٤

والخراب من غير اعتبار بها، او الميل الى تمجيد الآباء والأجداد والتفاخر بافعالهم وتأريخهم وربما كانوا من الوثنيين والكفار كما هو حاصل في هذا الزمان، فارادت الآية تصحيح القراءة التاريخية للأثار وجعل موضوعية للإيمان في دراستها والبحث التأريخي عنها. انها دعوة لإضافة الجانب العقائدي والإعتبار من الأثار واتخاذها مناسبة للتدبر والتفكر في النشوء والبعث من جديد فيمكن تسمية هذه الآية (بمدرسة الأثار) وكل انسان يشاهد في سفره مدناً مندثرة وقرى خربة ومساكن مهجورة تنبأ عن وجود امة او جماعة او حضارة منقرضة وانهم عاشوا مدة من الزمن مباينة ومختلفة عن زماننا الا اننا نلتقي معهم يوم القيامة في محشر واحد وموقف واحد. وموضوع الكاف في ﴿كَالَّذِي﴾ على وجوه:

الأول: ان الكاف حرف جر زائد، كما في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ﴾<sup>(١)</sup>.

واستبعد هذا المعنى الطبرسي باعتبار ان الحرف الزائد يأتي للتوكيد ولا يحكم به الا لضرورة.

الثاني: قال جماعة منهم الأخفش والفارسي: يجوز اعتبار كل كاف جارة اسماً فيكون المعنى: (أرأيت مثل الذي مر على قرية). وقالوا في (زيد اسد) ان الكاف في موضوع رفع خبر للمبتدأ، والأسد مضاف اليه، ورد ابن هشام هذا المعنى وقال لم يسمع "مررت بالأسد" ولكن هذا الإشكال لا يرد على المقام.

الثالث: ان الكاف وردت للتعجب، وبه قال الطبرسي، والأقوى هو المعنى الأول.

(١) سورة الشورى ١١.

١٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

بدأت الآية بحرف العطف (أو) وله ثلاث معان هي:

١- ان يكون عنوان الدوران بين شيئين او اشياء متعددة

نحو قوله تعالى ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ (١).

٢- ان يكون لمطلق الجمع كالواو، كما في قول الشاعر:

قوم اذا سمعوا الصريخ رأيتهم

ما بين ملجم مهـره او سافع

أي رأيتهم بين هذا وذاك، والسافع أي الآخذ بناصية الفرس من

غير لجام، وقد تكون أوكد من الواو كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ

إِنَّمَا أَوْكُورًا ﴾ (٢)، يقال: سفعت بالشيء أي اخذته وجذبتة جذباً شديداً.

٣- يأتي للإضراب بمعنى (بل) في توسعة الكلام، واستشهد

الفراء وغيره بقوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (٣)،

ومعنى الآية أعم وقال ذو الرمة:

بدت مثل قرن الشمس في رونق

وصورتها، أو أنت في العين أملح

٤- يأتي (او) للشك والإبهام، ومن الشك صليت الظهر

(١) سورة المائدة ٨٩.

(٢) سورة الإنسان ٢٤.

(٣) سورة الصافات ١٤٧.

معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ١٦

أو العصر، ومن الإبهام قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وذكرت لها معان اخرى منها الإباحة ومرادفة (الا) ومرادفة (الى) والشرط والتبويض، وتعرف هذه المعاني بلحاظ القرائن وملابسات الكلام الا انها لا تتعارض مع المعاني الأخرى للحرف فقد يكون له اكثر من معنى، وفي هذه الآية يمكن ان يكون التفسير على وجوه:

١- ان شئت فانظر في قصة ابراهيم عليه السلام واحتجاجه ووجود الملك وبهته، وان شئت فتدبر في قصة الذي مر على القرية الخاوية على عروشها.

٢- انظر في الآيات المتعددة والقصص المختلفة التي تؤدي مجتمعة ومتفرقة الى اثبات وجود الصانع.

٣- اذا كان احتجاج ابراهيم مع الملك جاء بذكر آيات حسية تتعلق بالآفاق والوجود الذهني وادت الى بهت الكافر، وفيه حجة وبرهان لكل عاقل فان هذه الآية تتضمن الآيات الحسية الملموسة.

والخطاب في الآية متوجه الى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كرسول ونبي ولعموم أهل الأرض، ولكنه انحلالي موجه الى كل مسلم بل الى كل انسان ذكراً كان او انثى للإعتبار والإتعاض والتزود بمقدار ضروري من المعرفة الإلهية والتفقه في علم التوحيد واحكام التكاليف ليكون طريقاً للإيمان والإلتزام بسنن التشريع وأحكام الفرائض.

---

(١) سورة سبأ ٢٤.

١٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

ان هذه الآيات رحمة الـهية تتغشى المسلمين من خلال القرآن لما فيها من الدروس والعبر والحجج وآفاق المعرفة، انها سياحة في عالم التوحيد ومسالك الرشاد وجاءت من باب المثال والتذكرة بالشواهد الكثيرة التي تواجه الإنسان في ليله نهاره واقامته وسفره لتذكره بوظائفه وواجباته وتساعد المؤمن وتزيد من ايمانه وتخزي الكافر وتدحض مغالطته وتفضح شبهته.

واختلاف المفسرين في هوية الذي مر على القرية وهو مسلم او أخص كونه احد الأنبياء ام لا انه كافر لا يخلو من نكات مستقراً من ظاهر الآية باعتبار ان المدار على موضوع الآية وما فيها من العبر والموعظة وان كل انسان في معرض رؤية حال الخراب والقرى التي باد اهلها وانقرض سكانها، فالآية جواب عن سؤال يطراً على الذهن في الإحياء بعد الإمامة وهذا السؤال قد يصدر عن مسلم يؤمن بيوم الحساب بدليل انه يعترف ضمناً بان الله عز وجل هو الذي يحيي هذه القرى.

وهذا الإحياء اعم من معنى بعث الأرواح والناس من جديد للحساب، باعتبار ان بعث القرى يعني ارجاع حال الناس الى ما كانوا عليه في الدنيا سواء بقيام هذه الأشياء بالشهادة عليهم او لإتمام الحجة واستحضار الوقائع والأحداث او لبيان عظيم قدرته تعالى ورؤية الخلائق للآيات.

والقائل بان الذي مر على القرية كافر احتج بوجوه:

الأول: قوله تعالى ﴿ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وانه يفيد

استبعاد الإحياء من الله عز وجل بعد الإمامة، ولكن الكلام يحتمل وجوهاً اخرى وهو انه:

١- سؤال عن كيفية الإحياء بعد الإمامة وليس انكار الإحياء

اصلاً.

٢- الإستفهام عن اوان وزمان الإحياء وهل في عالم الدنيا ام في الآخرة ومتى يكون في دوران الفلك.

٣- ينتظر المؤمن يوم القيامة لقيام الحجّة على الكافرين وعلى اولئك الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور. واذا ورد الإحتمال بطل الإستدلال.

الثاني: قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ وهذا يدل على مجيء وحصول التبيان بعد رؤية الآية، وهذا ضعيف ايضاً لما يرد عليه من وجوه منها:

١- احتمال كون التبيين نوع اكرام له وهو الأرجح، لأنه تخصيص وتشريف ومشاهدة خاصة للآيات.

٢- التبيين اعم من حصوله ابتداء ولكنه تعلق بموضوع مخصوص وقيام حجة معينة.

٣- ان التبيين لطف واحسان منه تعالى.

الثالث: مجيء الآية بعد ذكر قصة نمرود وكفره وعناده والجواب عليه من وجوه:

أولاً: ان المعنى السياقي لا دلالة له على المقارنة والتشابه الا بلحاظ القرائن وحضور وجوه الشبه.

ثانياً: ان الآية السابقة حكّت قصة محاجة ابراهيم عليه السلام مع نمرود فهي نوع مفاعلة واختلاف عقائدي بين الإيمان والكفر ولا تتعلق بالجحود والكفر وحده، كما انها اكدت انتصار الحق والإيمان.

ثالثاً: اكدت خاتمة الآية السابقة تحير وسكوت نمرود واخبرت عما لحقه من الخزي، اما هذه الآية فجاءت بالإخبار عن ايمان الذي مرّ على القرية مع احتمال ان تكون قصة هذا المار مشابهة لإحتجاج

١٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
ابراهيم عليه السلام، ومع التعارض بين الإحتمالين يكون التساقط.

ان موضوع الآية قضية في واقعة، اراد الله عز وجل منها ان تكون درساً وعبرة للناس جميعاً فهو آية للشخص ولأهل زمانه، وهم على قسمين:

الأول: الذين كانوا معه في ايام حياته.

الثاني: الذي عاش معهم بعد بعثه واحيائه.

والآية تتعلق بالقسم الثاني بصوره اوضح واجلى لأنه عاش معهم وهو من الطبقة السابقة والجيل المنقرض، ولا تختص الآية باحيائه بل ببيان وتفصيل احوال الأمم المنقرضة وحياتها وديانتها ومعايشها واشخاص وطبائع افرادها وتثبيت الأنساب وذكر الدول والمجتمعات واحوال الناس واجراء دراسة مقارنة بينها واختيار الأفضل والأحسن للمجتمع والأفراد، بمعنى ان الآية اصلاح للمجتمعات وتهذيب للنفوس.

وهذا الأمر من مرجحات كون الشخص المار على القرية نبياً، وهذا القول منا يفتح آفاقاً جديدة في عالم النبوة ويظهر آيات ومعجزات ذاتية ملازمة لفلسفتها ووجودها في الأرض فشخص النبي يختفي سنوات عديدة على نحو خارق للعادة ثم يأتي لمجتمع جديد بعد ان انقرض اهل زمانه وتغيرت العادات والعملات والممالك ولكن الحق وحده هو الباقي.

وقد جاء القرآن بقصة اهل الكهف وكيف ان الله عز وجل بعثهم من رقودهم بعد اكثر من ثلاثمائة سنة، ولكن هذه الآية جاءت على نحو القضية الشخصية وليس من طلب وراء الذي مر على القرية. انه من تعدد الآيات واظهار عظيم قدرته سبحانه وزيادة البراهين

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٢٠

والحجج واداء النبي لوظائف مركبة وقيامه بالجهاد المتعدد في زمانه وصيغة وافراده وخصوصياته، فمرة يبعث سبحانه نبياً لكل زمان ولكل امة، ومرة يبعث ذات النبي لأمتين معاً، ولا بد ان هذا التباين له خصوصيات واسباب تتعلق بالزمان واهله وكيفية دعوتهم الى الايمان، فبعثة نبي من الأمة المنقرضة اكثر حجة على الناس واقوى في البرهان والدعوة الى الله.

ولعل في سياق الآيات ومجيء هذه الآية بعد آية نمرود دلالة على عتو اهل الزمان الذي بعث فيه هذا النبي وانهم احتاجوا نبياً يكون آية في شخصه وحياته ولا يتحداهم بالبرهان لأنه يتعرض الى القتل في الحال كما حصل مع ابراهيم في اعداد الخطب لخرقه او مع عدد كثير من انبياء بني اسرائيل، فهو لا يدعوهم الى الايمان بالتحدي وابطال ما يذهبون اليه من مضامين الكفر، بل انه بذاته آية عقلية وحسية ظاهرة تلح على كل انسان وتدعوه للتدبر والتأمل والتفكر في بديع خلقه تعالى، بالإضافة الى ما يظهر عليه من الدعوة الى الله في سمته وسيرته وفعله، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَلَنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾. فلفظ الناس يفيد الاطلاق وما هو أعم في زمانه ومكانه، فكما يرد في القرآن خطاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ويراد منه المسلم وغير المسلم وفي كل زمان، كذلك هذه الآية فهي خطاب متجدد لكل أهل الأرض الموجود منهم والمعدوم.

قوله تعالى ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾

القرية موضع سكن جماعة من الناس ومجمع بيوتهم ومسكنهم، وقد تطلق على المصر الجامع، ووصفت مكة في القرآن بانها قرية قال تعالى ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي

٢١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

أَخْرَجَتْكَ ﴿١﴾، واختلف في القرية الوارد ذكرها في هذه الآية على  
اقوال:

١- انها ايلياء وهي بيت المقدس، وبه قال قتادة ووهب  
وعكرمة.

٢- الأرض المقدسة عن الضحاك.

٣- القرية التي خرج منها الألو ف حذر الموت، عن ابن زيد.  
لقد ذكرت مادة (قرى) في القرآن ست وخمسين مرة تتضمن  
اكثرها صيغة الإنذار والتخويف والعقاب، ومنها هذه الآية فانها  
تذكير بالموت والفناء سواء بالإنعدام الشخصي بالموت، او النوعي  
باندثار البلدة وانقراض اهلها او عزوفهم عنها.

وتنقل الآية قارئ القرآن الى واقع قصتها وتجعله يستحضر في  
ذهنه صورة قرية او بلدة كبيرة او صغيرة مر عليها وبيوتها ساقطة  
وخالية من سكانها، كما انه يستحضر الآية عندما يمر على قرية او  
خرائب ودور بالية باد اهلها او هجرتها ذراريهم، وفي زمن العولمة  
يكون هذا الإستحضار اكثر واقعية وظهوراً، فقد يرى الإنسان هذه  
القرية في الصور او أجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة، فيعيدنا  
الواقع اليومي الى القرآن كما يضيف القرآن على هذه الصور  
والمشاهد صبغة عقائدية تكون وسيلة للتدبر والتفكير والإتعاظ،  
والإنسان يعلم بفطرته انه لا بد وان يتعرض لما اصاب غيره بمفارقة  
الحياة.

انها سياحة ضمن التصور والوجود الذهني الذي يقرب المفاهيم  
الكلية بالشواهد المحسوسة، واستحضار المدركات العقلية بالواقع

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٢٢

العملي الذي يراه كل انسان ويستطيع ان يستنتج منه الدروس والعبر.

انها مدرسة القرآن التأديبية التي تجعل من الحياة الدنيا حلقة للدرس وجامعة متنقلة تتخذ من معالم الأرض وحالات الناس وآيات الآفاق برهاناً وموعظة ومناسبة للتدبر في الخلق واستظهار النتائج التي تكون وسيلة للصالح والإصلاح والرشاد.

ومن الآيات والشواهد ما لا يلتفت اليها الإنسان بسبب العادة والإعتياد ويغفل عن لزوم الإلتفات لها فتأتي الآية القرآنية تذكيراً له وتنبهاً ودعوة للإعتبار وتحذيراً من الغفلة وما تجلبه على الإنسان من الضرر والأذى، فهذه الآية رحمة مزجاة وهبة سماوية مركبة من امرين:

الأول: وجود الشواهد من الآثار والخراب الى جانب العمران، وهي حالة موجودة في كل زمان ومكان.

الثاني: مع الإرتقاء العلمي وبدل ان يميل الناس الى ازالتهها ومحوها والقيام بتجديد البناء على ارضها باحدث كيفية وطريقة خصوصاً مع توفر اسباب وصيغ حديثة للبناء فانهم يبالبغون بحفظ تلك الأطلال والعروش على حالها والتفاخر بوراثة والانتساب اليها، ومع رخصها، وامكان الحصول عليها من غير بدل، وعدم وجود اهل لها وزهد الناس بها، لم يفكر أحد باحيائها واعمارها بل اتجه الناس الى العناية النوعية العامة بالآثار التاريخية وتعاهدها والحرص عليها والاعتزاز بها كتراث وتاريخ وتسخير وسائل الإعلام والنشر لحث الناس على زيارتها، وهذا كله من مصاديق هذه الآية الأرضية الأنسية، وفيه دليل على بقاء موضوع كل آية قرآنية الى يوم القيامة، فالآثار والعروش الخاوية والحيطان المندرسة شواهد على العصور والأزمنة السالفة.

٢٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

واندفاع وحرص الدول والمؤسسات الثقافية والانسانية  
والإعلامية على تعاهدها وكثرة زوارها وما تدره من أموال اسباب  
سماوية لجعلها آية باقية ودرسا وموعظة للناس جميعاً.  
وهذه الآية دعوة لفلسفة اسلامية في علم الآثار وتوجيه الأفكار  
نحو الاعتبار العقائدي منها بما يؤدي الى زيادة الإيمان والصلاح.  
وهذه الدعوة مطلقة في موضوعها فهي موجهة للناس جميعاً ولا  
يشترط تقييدها بارادة دخول الإسلام، وموافقة لما جاءت به كل  
الكتب والديانات السماوية لأنها مناسبة للتدبر في عظيم قدرته  
تعالى، ودلالة واقعية على ضعف الإنسان منفرداً ومتحدداً وحاجته  
وعدم قدرته على حفظ نفسه او تعاهد نسله او بقاء مجده.  
وإذا كانت الجماعة والأمة والقرية واهل البلدة قد تعرضت  
للمحو والزوال، فمن باب اولى ان يتعرض الإنسان كفرد الى الزوال  
ويؤيده حصول الموت وعدم استثناء شخص ما منه، وهذه المقدمة  
تقود الى نتيجة حتمية وهي ضرورة وجود مدير للخلق ولزوم  
اللجوء اليه.

وبذا تكون هذه الآثار والقرى الخاوية على عروشها والاطلال  
البالية من مصاديق قوله تعالى ﴿سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي  
أَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فهي آية تدل على وجود الصانع سواء بذاتها او بواسطة  
دلائلها على ضعف الإنسان وحاجته الى من يتعاهد شؤونه ويحفظه  
في ماله وذريته وثروته.

وانه مع الإرتقاء العلمي تأخذ مصاديق هذه الآية القرآنية صوراً  
علمية ملائمة لصيغ التفكير في هذا الزمان وتكون اكثر نفعاً، ففي

---

(١) سورة فصلت ٥٣.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٢٤

هذا الزمان يكون اطلاع الناس على الآيات بصورة اكثر اتساعاً وأوضح بياناً وأسهل طريقة واقرب الى الأذهان، ومنها معاني الآثار وايلائها عناية خاصة ووجود منظمات تعتنى بها وتدعو للمحافظة عليها وتكون مجتمعة ومنفردة اسباباً لتبقى القصة حية متجددة وشاخصة أمام كل انسان.

فمن اعجاز هذه الآية ان موضوعها يتعلق بشخص واحد بينما يكون كل انسان في هذا الزمان ذكراً او انثى هو الذي يمر على هذه القرية برؤية الآثار وعرض وسائل الإعلام المرئية حالات القرى والمدن ليراها الناس كافة.

فلا غرابة ان يكون من اعجاز الآية عدم الإتفاق على هوية الذي ذكرت مروره على تلك القرية وهل هو نبي او احد المؤمنين مطلقاً ام انه كافر، فكل انسان يرى هذه الآيات وتتعد هذه الآية الرؤية في عالم اليوم والآثار واقعاً في السفر وبواسطة كل الإعلام والكتب والصحف للتذكير ورافة منه تعالى بالناس، فمع تزامم الأمور والأعمال وكثرة التأثير على الإنسان واغواء الشيطان يتفضل سبحانه بتعدد الآيات وكثرتها، فمثلاً كان الإنسان يكثر من التأمل في عالم النجوم والكواكب في الليل ويعتبر من الآيات طوعاً وقهراً وانطباقاً. عن الصادق عليه السلام: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بطهور فيخمر عند رأسه ويوضع رأسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فاذا استيقظ جلس ثم قلب بصره الى السماء وتلا الآيات من آل عمران ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض

٢٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ  
النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي  
لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ  
الْأَبْرَارِ ﴿١﴾، ثم يستن ويتطهر، ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع  
ركعات على قدر قراءته ركوعه، وسجوده على قدر ركوعه، يركع  
حتى يقال: متى يرفع رأسه؟ ويسجد حتى يقال: متى يرفع رأسه. ثم  
يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ ويجلس ويتلو الآيات من  
آل عمران ويقلب بصره في السماء، ثم يستن ويتطهر ويقوم إلى  
المسجد ويصلي الركعتين ثم يخرج إلى الصلاة (٢) "

انها دعوة للتدبر في آيات الآفاق وأسرار السماء، والآن اخذت  
الحياة المدنية صبغة جديدة وارتقى الإنسان في سكنه وميئته الى البناء  
والمسقفات المحكمة وعالم التكيف والتدفئة والتبريد، فقد يغفل عن  
سحر وجمال وهيبة آيات السماء الليلية احياناً فجعل الله الآيات  
تصل الى بيوتهم بواسطة الإعلام المرئي والمقروء وان كان شطره من  
اسباب المنكر.

ولفظ العروش وهو جمع عرش فيه اشارة الى العز والرفعة  
التي كان يتمتع بها اهلها وساكنوها في بيوتهم وبين اهلهم واولادهم  
وما يمثله الإستقرار والأمن من ملك ونوع سلطان، ليكون التذكير  
بها حثاً على التأمل وزيادة في الإعتبار.

كما ان مجيء لفظ العروش بصيغة الجمع يؤكد ما كانوا يتنعمون

(١) سورة آل عمران (١٩٠-١٩٣).

(٢) مجمع البيان ٥٥/٢.

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٢٦

به من السيادة والجاه والوقار لمنع غرور الإنسان وليعلم ان الذي كان عند من سبقه اكثر مما عنده، وهو دعوة للتواضع والإنقياد للأوامر السماوية واجتناب النواهي الشرعية.

لقد جعل الله عز وجل العقل رسولاً باطناً ينبه الإنسان الى الآيات التي تدل على وجود الصانع واعانه بالدلالات والبراهين الثابتة منها والمتحركة، والمستقرة والمتزلزلة والكونية والطارئة التي هي من فعل الإنسان ومنها القرى المدرسة والتي انقرض اهلها. كما ان الآية لا تنحصر بالقرى والمدن بل تشمل كل خربة مهجورة، لذا تجد في كل مدينة من العالم بعض الخربات المتروكة التي تحكي قصة اسرة وذراري متعاقبة بادت وهلك افرادها او ان حالهم تغير وانتقلوا الى موضع او بلد آخر، وهذا المشهد يعطي صورة للدنيا بانه لا بد من تركها ومغادرتها، ولا ينحصر موضوع التساؤل بذات القرية وابنيها بل انه يشمل اهل القرية الذين بادوا كما في قوله تعالى ﴿وَاسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾<sup>(١)</sup>.

فالمراد اهل القرية بحذف مضاف ويدل عليه ان الإمامة جرت على شخصه، كما ان إمامة الحمار ثم اعادة خلقه من جديد امانة على ان البعث في الآخرة لا ينحصر بالناس.

كما تبين هذه الآية شرف الإنسان بين الكائنات واهليته لخلافة الأرض واعمارها وبنائها وازدهارها والتنعيم بخيراتها والتصرف الحسن بها واخراج بهائها ومعالم زينتها، وكيف انه اذا غادرها عادت خراباً.

فكأن الآية تخبر عن طي الأرض عند البعث لأنها وجدت لسكن

---

(١) سورة يوسف ٨٣.

٢٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>، وتظهر أهمية الإنسان في عالم الخلائق وحاجتها اليه وهو الذي يزين الأرض لأهل السماء بعبادته وصلاحه واعماره للأرض، فهذه القرى تذكرة بعالم السكون وحياة البرزخ والانتقال من الدنيا الى الحساب والسؤال وعرض الأعمال.

وفي الآية تقريب لحال الإماتة والإحياء كمصداق من الصيغ الاعجازية في القرآن بتقريب المعقول بالباسه لباس المحسوس.  
ومن وجوه تأويل قوله تعالى ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ ان مساكن القرية وسقوفها سقطت وتهدمت ولكن اشجارها بقيت معروشة في آية منه تعالى وللحجة ولفت الانتباه لتكون فيها موعظة بان الإنسان يموت ويبقى ذكره وعمله.  
وعمله ينقسم الى قسمين:

الأول: ما كان للدنيا وزينتها ومثاله المنازل المهتمة والسقوف الخاوية.

الثاني: ما كان للأخرة وعملاً صالحاً ومثاله عروش الأشجار النامية.

قوله تعالى ﴿قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

تبين الآية اثر القرى الخاوية والأماكن المهجورة على النفوس والتفات الناس لموضوعها كما انها تحكي التأمل والتساؤل الذي يعيشه الإنسان عند رؤيتها ويتخذها موعظة قهراً وانطباقاً، لقد بادر عندئذ الى التفكير المستقبلي بحالها وكيفية اعادتها وبعثها، وأقر

---

(١) سورة البقرة ٢٩.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٢٨

بالدلالة التضمنية ببعث الله عز وجل للخلائق واعادتها.

فيحمل التساؤل عن كيفية البعث والإعادة، وان معنى ﴿ أَنَّى ﴾ أي من اين، وارادة الزمان وأوان البعث، ولكنه بعيد بدلالة موضوع التساؤل وقرينة ما بعده واماتته ثم بعثته لا يتصل موضوعها بالبعد الزمني للبعث.

وظاهر الآية ان قول المار على القرية ليس حديثاً نفسياً وتساؤلاً داخلياً لأن الآية ذكرته على انه قول ﴿ قَالَ أَنَّى ﴾ خصوصاً وان الله عز وجل لا يؤاخذ على حديث النفس، وهذا القول يحتمل امرين:

الأول: التحدث مع الآخرين، أي وجود شخص او اكثر سمعوا الكلام.

الثاني: التحدث بصوت مسموع ولكن من غير ان يستمع احد للكلام.

واذا كان جماعة يسمعون الكلام، كانت اماتته بعد مفارقتها الجماعة او وهو معهم ولكن الله حجب عنهم الأمر، او انه تخلف عنهم ثم اماته الله، او انه مات فتركوه من غير دفن وغير ذلك من الأسباب المتعددة والمحتملة.

وهذا النقاش صغروي لأن الآية تخبر عن حصول القول وذكر القول في القرآن يجعله مسموعاً ومعروفاً على الظاهر الا مع القرينة الصارفة، وقد يقال ان القرينة موجودة وهي عدم ذكر شخص آخر معه.

والظاهر انه كان مسموعاً وفي رفقة خصوصاً وان الناس لا يسافرون في الفيافي والبراري والمفاوز الا جماعات وليس فرادى، والآية تخبر انه مرّ على تلك القرية مروراً، والإنسان في سفره يكون

٢٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

أكثر تحملاً من هموم الدنيا ومشاكل العمل والعيال، ويكون عنده متسع من الوقت والتفكير والتأمل للحديث.

إن ذكر القول في القرآن يجعله مسموعاً وإن جاء بصورة شخصية وفردية بمعنى أنه مسموع من أجيال المسلمين وأهل الأرض، فقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ خطاب للناس جميعاً وهو أعم من خطاب ﴿

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، مما يعني أن الناس يسمعون ما في القرآن من المواعظ والبشارة والإنذار والوعد والوعيد، وكذا في هذه الآية فإن مسموعاً من قبل أهل الأرض بواسطة القرآن.

إن الطيرة والوسوسة تراود نفس المؤمن ولكنه لا يؤاخذ عليها، أما هنا فإنه قول والظاهر أنه سؤال عن الكيفية والبعث، ثم إن الأخبار جاءت بخصوص بعث الأموات وإخراج الناس من قبورهم وعرضهم للحساب يوم القيامة، وهذا موضوع يختلف عن موضوع القرى الخاوية.

والإيمان بالبعث والنشور لا يستلزم الإيمان بأحياء القرى وإعادتها إلى حالها، فيكفي الإنسان أن يؤمن ببعث الأرواح والأبدان والأجساد البالية، ولكن هل يمكن إرادة الذي مرّ بعث الإنسان، وفي قوله وجوه:

١- إذا كان بعث القرى من جديد يحصل بقدرته تعالى فلا بد من قدرته تعالى على بعث الناس بالأولية ولكن كيف تكون بعثتهم.

٢- أنه أراد ببعث القرى بعث مساكنها من جديد.

٣- أنه سأل هل يكون بعث الناس بقراهم وبيوتهم تماماً للحجة، وأنه يقر ويعترف ببعث الناس ولكنه تساءل عن كيفية

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٣٠

وموضوعية بعث القرى واعادة بنائها من جديد.

ان التفكيك بين بعث الناس وبعث القرى يبعد تهمة الكفر عن الذي مر لورود شبهة وهي ان القدر المتيقن من موضوع البعث الناس وحدهم، ومساكنهم ليست معهم، ومع هذا فان ظاهر التساؤل يتضمن الدهشة ولا ينكر ان قدرته تعالى لا تحيط بها عقول البشر وتتحير وتتيه الأوهام في عظمتها، فاراد سبحانه ان يريه آية منها تتعلق بموضوع تساؤله لتكون موعظة للأمم من بعده وتذكرة. لقد اطلق هذا الرجل صفة الموت على القرية فهل هو من الحقيقة ام من المجاز، الأقوى الثاني.

بحسب أصل الكلمة فان الموت في كلام العرب يطلق على السكون وانعدام الحركة يقال (ماتت الريح أي سكنت) وكما يقع على القوة الحسية فانه يقع على القوة النامية في الحيوان والنبات، والمراد من موت القرية اندثارها واندارسها وغياب الحياة عنها اذ ان وجود اهلها وحركتهم وسعيهم ونشاطهم انما هو حياة، فالحياة فيها مركبة من حياة الناس وحياتها بالذات.

فالموت قد يستعار للجهل والفقر والحزن والذل والهزم والمعصية، وفي الحديث: "اول من مات ابليس لأنه اول من عصى" ونعت القرية بالموت في الآية الكريمة بلحاظ البعث والنشور، فالبعث يأتي بعد الموت، والحياة بعد الفناء وان الإنسان يرى الأشياء بلحاظ حاله وشأنه.

ففي هذا التساؤل دلالة التفات القائل لحقيقة الموت وموضوعه بالنسبة له وللخلائق وجاء بصيغة التساؤل لإيجاد صلات الربط بين بعثه وبعث هذه الأشياء او انه يريد ايجاد وسيلة لفهم البعث والنشور وكيف ان الإنسان يبعث من باب الأولوية بالنسبة للموجودات الأخرى.

٣١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

ونسبة الإحياء في الآية الى الله عزوجل ينفي احتمال ارادة اعادة بناء القرية واعمارها من جديد، وحتى الإعمار لا صلة مطلقة له بحقيقة الإحياء الإلهي، لأن الإعمار موضوع جديد مستقل ومؤقت وبالوسائل والأسباب والمقدمات، اما الإحياء الإلهي فانه يأتي دفعياً وبأمره سبحانه كن فيكون.

وقوله تعالى ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هل يعني انها حال المرور عليها كانت ميتة، ام ان موتها يفيد زوال جميع اطلالها وانقاضها واندثارها بحيث لا يستطيع احد رؤية آثار تدل عليها. الأقوى هو الأول فمجرد هجران اهلها لها وانها صارت متهدمة وسقفها ساقطة على جدرانها، واصابها السكون الدائم فانها اصبحت ميتة وان أدت عمليات التنقيب الى اكتشاف بعض معالمها المدرسة.

والآية مدرسة عقلانية وعقائدية في عام البعث وبيان بعض اسراره واظهار لجوانب من خفاياه ليتعظ الإنسان ويستعد للموت ومن ثم البعث من جديد، فقد يرى الإنسان موضوع المدن والقرى وكيفية بعثها من جديد اكبر من بعث الإنسان او انها اقل، فجاء التساؤل من باب التقرير وليس الإستنكار والنفي.

### بحث بلافي

انى - بالفتح والتشديد - تأتي اسماً مشتركاً بين الإستفهام والشرط، ومن الإستفهام ورودها في هذه الآية بمعنى كيف ﴿أَنْى يُحْيِي﴾ والفرق بين اين، ومن اين، ان الأول سؤال عن المكان وموضع الشيء اما من أين فهو سؤال عن جهة صدور الشيء.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٣٢

وقد تأتي (انى) بمعنى متى واستشهد بقوله تعالى ﴿ فَاتُوا حَرْثَكُمْ  
أَنى شِئْتُمْ ﴾<sup>(١)</sup> وان كان معناه اعم من الزمان.

قوله تعالى ﴿ فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ﴾

لم يذهب هذا التساؤل سدى، او يترك من دون اثر ورد  
فعل، وتلك آية اخرى تتضمن سمعه تعالى للقول ونزول  
الإبتلاء وترتب الأثر وحصول الموت المؤقت، وفيه مسألتان:  
الأولى: تتعلق بالزمان المنصرم والآية السابقة وفيها رد على الملك  
الذي قال انا احيي واميت، فانه سبحانه يميت حين يشاء ويبعث الميت  
حين يشاء في الدنيا والآخرة.

الثانية: انها ذات موضوعية في المستقبل والتالي من الأيام فقد  
يكون فيها اخبار وآية امكان الإمامة المؤقتة في حال حصولها وسكون  
الأعضاء لفترة محدودة من الزمان، ومع هذا فان التجارب في هذا  
الباب لن تكون تامة وسليمة وخالية من الخلل والخطأ وهي تأتي  
بالوسائل والأسباب، اما بالنسبة للإمامة في هذه الآية فانها اعجاز  
وتحد وأمر خارق للعادة يقصد به الموعظة والعبرة ل:

١- الشخص ذاته.

٢- قومه.

٣- الأمة التي يبعث فيها.

٤- الناس جميعاً.

اما الثلاثة الأولى فتدخل في الحسيات والدلالة المباشرة الظاهرة  
للعيان، اما الرابعة فهي التي يتكفلها القرآن موضوعاً وحكماً

(١) سورة البقرة ٢٢٣.

٣٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
ودراسة وتحقيقاً وبذا تظهر جليلة اهمية القرآن وحاجة الأولين  
والآخرين له، فالأولون بثبيت قصصهم وما فيها من الدروس  
والحكمة والبراهين، والآخرون بالإعتبار والفهم والإتعاظ.  
لقد حددت الآية عدد سني موت الذي مرّ على القرية بمائة عام،  
وعدم وجود زيادة او تقيصة على عدد المائة له دلالات على قدرته  
تعالى بضبط السنين والأيام وان البعث يكون بموعد محدد وعلى  
رأس عدد من السنين، كما ان لفظ المائة وخلوه من الكسور والنيف  
سبب في الحفظ والإلتفات والتسهيل لمعرفة القصة وما فيها من  
الآيات.

وكانت مدة الإمامة كافية لإنقراض من طبقة وجيل من الناس  
ليأتي الإحياء في طبقة وجيل آخر، ومن خصائص الآية انها خارقة  
للعادة، ولو بعث بعد عشرين او ثلاثين عاماً، لقال الناس انه كان  
مسافراً كما ان الحمار من الفصيلة الخيلية والتي تعيش نحو خمسين  
الى ستين سنة.

فان قلت: ان الإنسان قد يعيش اكثر من مائة سنة ويكون معمرأ.  
قلت: ان هذا فرد قليل، كما ان علامات الشيخوخة والهرم تبدو  
عليه واضحة، بينما يأتي الإحياء في ذات السن التي مات فيها  
الإنسان لبيان عظيم قدرته تعالى واظهاراً للآية فحينما بعث يراه ابنه  
او حفيده اصغر منهما سناً وهيئة.

لقد خلق الله عز وجل آدم بالنفخ فيه من روحه ولم يتكون في  
رحم، وخلق عيسى من غير أب لإظهار قدرته وعظيم فضله  
واحسانه، وجاءت هذه الآية الإمامة الموقته للدلالة على تعدد وجوه  
رحمته وانه قادر على المقدورات جميعاً وانها متساوية في الاستجابة.  
وهذه الآية تختلف عن آية أهل الكهف من وجوه:

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٣٤

- ١- جاءت هنا بلفظ الإمامة، وفي سورة الكهف بلفظ ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>، والإمامة اخص واكثر دلالة وحجة.
- ٢- حددت الآية مدة الإمامة بانها مائة عام، اما في سورة الكهف فقد ورد بانها ﴿ سِنِينَ عَدَدًا ﴾<sup>(٢)</sup> ورد قوله تعالى ﴿ وَكَبُوتَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٣- الآية هنا شخصية تعلقت بفرد واحد، اما في صورة الكهف فتعلقت بجماعة وهم سبعة وقيل غير ذلك.
- ٤- الإمامة هنا في مكان مكشوف وتلك في كهف وحرز.
- ٥- البعث هنا جاء لأغراض متعددة للشخص نفسه وللناس، وفي أهل الكهف قال تعالى ﴿ لِنُعَلِّمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَخَصَىٰ لِمَا لَبُتُوا أَمَدًا ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٦- في هذه الآية جاء ذكر الطعام والشراب وعدم تغييره، وفي أهل الكهف ارادوا شراء الطعام عندما بعثوا وكان سبباً في معرفة الناس لهم، وكان المار يحتاج الطعام والزاد في سفره وترحاله، فحفظه الله عز وجل له من التلف ليصل الى مأمنه، وهكذا كل انسان يضمن له الله عز وجل رزقه الى حين أجله.
- ٧- لقد اعاد الله عز وجل الحياة الى الحمار بكسو العظام لحماً من جديد، اما في سورة الكهف فكان معهم حيوان ايضاً وهو

(١) سورة الكهف ١١.

(٢) سورة الكهف ١١.

(٣) سورة الكهف ٢٥.

(٤) سورة الكهف ١٢.

٣٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

الكلب ولكنه ﴿بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾<sup>(١)</sup>.

وهل مدة المائة عام على نحو الدقة العقلية بحيث انها انتهت في مثل اليوم الذي اماته الله فيه وعند تمام المائة عام ام انه يكفي شطر من العام الأخير ليصدق عليه انه عام كامل.

وبين العام والسنة عموم وخصوص من وجه، فمادة الإلتقاء ان كلاً منهما حول كامل ومدة ايامهما متشابهة، وكل منهما اثنا عشر شهراً، ومادة الافتراق العام حول يأتي على شتوة وصيفة، اما السنة فتبدأ من يوم وتنتهي بمثله من قابل، وقد تبدأ السنة من نصف الشتاء او نصف الصيف، اما العام فلا بد ان يكون فيه شتاء كامل وصيف كامل متعاقبين، وتبرز اهمية الفرق بينهما في النذور والإيمان ونحوهما، وقيل ان العام يطلق على الخصب والرخاء، والسنة يراد بها الشدة والجذب.

لقد جاءت الإمامة متعقبة لقول الذي مر ﴿أَنْتَ يُحْيِي

هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ولم يتوجه الإعجاز الى موضوع التساؤل نفسه بحصول الإحياء للقرية وابنتها وتكون فيه آية للسائل وللناس ايضاً، بل حصلت الآية والإعجاز في ذات السائل نفسه باماتته ثم بعثه فلا بد له من دلالات عقلية وشرعية وموضوعية وحكمية.

اما بالنسبة للدلالة العقلية في الإمامة الشخصية اكثر منها في البناء الثابت لأن البعث والمعاد يتعلقان بالناس وحسابهم، فقد لا يهتدي العقل الى ادراكه بواسطة اعادة البناء والقرى فجاءت الآية بالفطريات وما لا يحتاج الى واسطة.

---

(١) سورة الكهف ١٨.

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٣٦

اما الدلالة الشرعية فان بعث الإنسان بعد الإمامة يجعله آية وشاهداً على زمانه والزمان الذي يبعث فيه وسبباً لهداية الآخرين والوصول اليهم وتبليغهم فهو آية ناطقة متحركة تدعو الناس الى الإيمان بالإضافة الى ما ورد من اعادة كتابة التوراة بهذا البعث.

ويتعلق موضوع الآية بجنس الإنسان وخلقه وهو بعث شخصي يذكر الفرد والجماعة بيوم النشور وامكان وحتمية حدوثه ويمنع من الإنشغال بالأسباب والكيفيات التي يحصل بها، ويزيل الحواجز والموانع المحتملة في التصور الذهني.

لقد جعلت هذه الآية مسألة البعث حية في اذهان المؤمنين وامراً متصوراً وقريباً من التصديق واسقطت الشبهات ومنعت من الجدل واثارة المغالطات في مسألة كلامية ذات اهمية خاصة وتعتبر من اصول الدين، فان توظيف قوى الشر للصيغ العقلية باتجاه النقض والتشكيك في المعاد يجعل شطراً من الناس يشك في حقيقة المعاد او انه يلتبس عليه الأمر، ولكن هذه الآية وما شابهها رد متقدم على شبهاتهم وابطال لأقوالهم واضعاف لتأثيرهم على النفوس ومنع من حصول الإرباك في هذه المسألة، لذا ترى الناس يقبلون على هذه الآية بالفهم والإعتبار وتستلهم منها الدروس ويتلقونها بالتسليم لتكون مقدمة للتصديق بالبعث والإستعداد له، فالوظائف العقائدية لهذه الآية اكثر من ان تحصى.

وهل بدأت هذه الآية من زمان الإمامة ام انها بدأت بعد مائة عام وعندما حصل البعث والإحياء، الجواب انها بدأت من زمان الإمامة بحفظه وتعاهده وعدم وصول السباع له ولحماره، ولكن البراهين العامة التي ينتفع منها هو والناس جاءت حين بعثه وخروجه في زمان غير زمانه.

لقد جاءت الآية على نحو المثل الواقعي الذي يصلح خطاباً

٣٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
عقائدياً لجميع الناس على اختلاف مداركهم وتعدد مشاربهم فهو  
يحمل الإنسان على التفكير في الإمامة ثم البعث وامكان حصوله  
ودلالاته ليصل الى النتيجة قهراً وانطباقاً والتي تلح عليه بضرورة  
الإيمان بالله والاستعداد لليوم الآخر.

وهل الإنسان طيلة المائة عام كان يتنفس ام ان نفسه انقطع عنه،  
الأقوى هو الثاني لحمل لفظ الإمامة على معناه الظاهري ولتمام الآية  
فهو لم يكن في حال سبات وتعطيل للحواس فقط.

قال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾<sup>(١)</sup>، أي ان الموت غير النوم، ولقرينة قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾  
الدالة على البعث بعد الموت.

وقد ورد لفظ امامة مرتين في القرآن، في هذه الآية وفي قوله تعالى  
﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، فجاء القبر والمواراة في الأرض  
بعد الإمامة مع ان القبر نوع اكرام للإنسان وتشريف له لأن سائر  
الحيوانات تلقى على وجه الأرض، وبلحاظ المائز مع قصة أهل  
الكهف وانهم رقود.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾

ثم: تفيد التشريك والترتيب والتراخي، وقد لا تدل على التراخي  
بحسب القرائن، وفي المقام يصلح الأمران معاً، أي تفيد الترتيب كما  
تفيد الترتيب والتراخي معاً، فبلحاظ المدة وزمان الإمامة فانها تفيد  
التراخي وطول المدة، وبلحاظ قدرته تعالى وقصر المدة عنده سبحانه

(١) سورة الزمر ٤٢.

(٢) سورة عبس ٢١-٢٢.

ف(ثم) تفقد التراخي.

ومن فلسفة خلق الإنسان ان البعث والنشور بعد الموت وانقطاع ايام الدنيا، وان الموتى يبعثون من قبورهم ولكنه سبحانه أبقى الا ان يري الناس آيات من العالم الاخر، كما يريهم في الآخرة آيات من عالم الدنيا فجاءت آية البعث شخصية وفردية لتكون عبرة وموعظة ليراها الناس بابصارهم ويحسون بها، اما المسلمون فقد تلقوها بالقبول والتسليم بما في القرآن من التنزيل، وهذا تشريف واکرام المسلمين انهم يؤمنون بالآيات الحسية ولم يروها ويتعاهدونها ويتصورون حدوثها وكأن وقائعها شاخصة امامهم.

ويمكن استقراء قاعدة كلية وهي ان القرآن كآية عقلية يكون واسطة لتثبيت وتوثيق الآيات الحسية ويعيشون فصولها كافة بايمان وتصديق منذ اول وقوعها.

لقد بعث الله عز وجل الذي مرّ على القرية رحمة لأهل زمانه ولنا وللناس جميعاً كآية للتذكير بالآخرة وهل يدل هذا البعث على الرجعة وامكان حصولها لبعض البشر، الأقوى لا وان كان أمر الرجعة مما يقدر عليه سبحانه، فهذه آية خاصة ولم يتعرض هذا المار على القرية الى الدفن في القبر، بل حجه الله عز وجل عن الأنظار وحال بينه وبين السباع والبهائم.

وهذا البعث لم يكن خاصاً بالبدن والروح بل انه بعث عقائدي واخلاقي وتأريخي، لقد كان بعثه رسالة للناس وحجة على العباد الى يوم القيامة، ولا بد ان بعثه ساهم في ايجاد امة مؤمنة واجيال من الصالحين الذين يقرون بالبعث والمعاد وكان سبباً في زيادة ايمان بني اسرائيل الى ان جاء القرآن فحفظ بعثه ومنع من التفريط بهذه الآية والنعمة.

ومن مفاهيم الآية انها اخبار عن حتمية البعث بعد الموت، وهذا

٣٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
المعنى مستقراً من اللغة يقال بعثه يبعثه بعثاً: ارسله وحده، والبعث  
الرسول، والبعث: خروج الجند الى الغزو، ومن اسمائه تعالى  
الباعث، وهو الذي يبعث الخلق أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم  
يوم النشور.

لقد اصبح المار على القرية رسولاً الى الناس سواء كان نبياً او  
ليس بنبي، اما بالنسبة للأول فان الرسول اكبر من النبي، واما  
بالنسبة للثاني فان رسالته ليس بكتاب او بوحي وهو ليس من  
مراتب النبوة، بل انه رسول بيدنه وحاله آية بشرية وكأنه خارج  
بنفسه الى الغزو والجهاد، ولكن ليس بالسيف بل باحيائه بعد الإمامة  
في غير زمانه، ليكون شاهداً على عصره والزمان التالي.

### قوله تعالى ﴿ كَمْ لَبِثَ ﴾

تنقسم (كم) الى خبرية واستفهامية، والأولى يخبر بها عن العدد  
الكثير كما في قوله تعالى ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾<sup>(١)</sup>، أي  
تركوا الكثير من البساتين وعيون الماء والخيرات، مع (كم) يفيد  
الأخبار وليس الإستفهام.

اما كم الإستفهامية فيطلب بها تعيين العدد كما في قوله تعالى ﴿ كَمْ  
لَبِثُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>، وكل من الإستفهامية والخبرية  
اسم مبهم وكناية عن ارادة عدد ويفتقر الى التمييز ومبني على  
السكون والتمييز هنا محذوف.

(١) سورة الدخان ٢٥.

(٢) سورة المؤمنون ١١٢.

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٤٠

و(كم) في هذه الآية استفهامية ففيها سؤال عن طول المدة التي قضاهها في الموت وتعيين عدد ايامها او سنيها، وهذا السؤال يدل على درجة من الوحي، والأرجح ان السؤال جاء بواسطة احد الملائكة وفيه دلالة على ان الذي مر على القرية كان نبياً، او انه نال درجة النبوة عند بعثه، نعم من الوحي ما هو وحي الصالحين وهو ادنى درجة من وحي النبوة ولكن الأصل في الوحي المخاطبة الإلهية للعبد مباشرة من غير واسطة بشر هو وحي النبوة.

والسؤال موجه الى الشخص نفسه وهو نوع تشریف له وابتداء مبارك لدخوله الحياة الدنيا في عالم جديد مختلف عما كان فيه، وكأنه خلق جديد كما شرف الله عز وجل آدم وخاطبه عندما نفخ فيه من روحه ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>، فهل يمكن استقراء قاعدة كلية هي ان الله عز وجل نفسه يخاطب الإنسان عند البعث ايناساً له وتخفيفاً من وطأة الموت وافتتاحاً للحياة الجديدة التي يطل عليها ليدخلها بفضل ولطف منه تعالى ولطرد وحشة الموت والعدم وللإستعداد للآتي من الإبتلاء او الحساب يخاطب الله الناس عند بعثهم.

الأقوى نعم، لبيان سلطانه وقدرته وللأخبار بانهم رجعوا اليه الا ان يكون هناك ما يجعل الإنسان يعلم بالآية وحصول البعث كما في قصة أهل الكهف فان السؤال حصل بالواسطة ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا الخطاب يحتمل وجوهاً:

١- انه متحد ومشترك بين الناس جميعاً.

(١) سورة البقرة ٣٣.

(٢) سورة الكهف ١٩.

٤١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

- ٢- كل انسان له خطاب مستقل.
  - ٣- ينقسم الخطاب الى نوعين، خطاب للمؤمنين الذين عملوا الصالحات ويتضمن الوعد والبشارة، وخطاب الى الكافرين والمشركين ويتضمن الوعيد والتخويف والإنذار.
- والأقرب هو حصول هذه الوجوه الثلاثة كلها، نعم بالنسبة للثاني يكون على نحو الجزئية أي وجود خطابات مستقلة لشر من الناس وافراد منهم وجاء السؤال للإنتفاع الشخصي من الآية وعدم التفريط بها وللحجة، وبعد البعث جاء السؤال الإلهي مما يدل على اعادة الحواس كالسمع والبصر.

قوله تعالى ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

لقد اجاب في الحال على السؤال الإلهي وفيه اعجاز مركب ومتعدد:

- ١- امكان الإستماع والإجابة بعد الإمامة سواء كانت مدتها معينة وقصيرة او طويلة.
- ٢- كانت الإمامة بالنسبة له كالنوم.
- ٣- عدم الإحساس بطول المدة.
- ٤- لم يلتفت الى الآثار الطارئة على القرية خلال تلك المدة فلا بد انها اندرست واندثرت اكثر خلال المائة عام، وفيه وجوه:
  - ١) حصول الإمامة في موضع بعيد عنها.
  - ٢) كانت جدرانها سميكة لا تندثر بسرعة، ولفظ القرية يجعل هذا الاحتمال بعيداً لما له من المعاني الاجمالية في بساطة البناء في القرية، الا ان يراد من القرية معنى البلدة، ولكن حجية الظواهر حاكمة في المقام فيحمل معنى القرية على المتعارف وليس على

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٤٢

المدينة، فلا ينصرف الى المدينة الا مع القرائن، وهل يمكن اعتبار العروش الخاوية امارة على إرادة البلدة والمدينة، الجواب: انه ضعيف.

٣) ان حال القرية لا يسمح بملاحظة المائز خلال المدة الا بعد امعان النظر والتدقيق، والناس يلتفتون الى العمران والبناء او الى انتقاله لحال الخراب، اما التغيير في ذات الخراب وزيادته فيحتاج الى مؤونة زائدة لا تتحصل بلحظة الاستيقاظ.

لقد جاء السؤال في الحال وقبل التفاته الى ما حوله بدليل انه لم ينظر الى حماره وما حل به الا بعد الإجابة.

والأقوى هو الأخير للقدر المتيقن من الآية.

ترى لماذا سأله الله سبحانه مع علمه بان الميت لا يعلم ولا يدرك مدة موته، فيه وجوه:

- ١- لإقامة الحججة.
- ٢- لبيان المعجزة والأمر الخارق للعادة.
- ٣- الاظهار العملي لعظيم فضله تعالى.
- ٤- لإثبات ان الإنسان لم يعلم مدة الإمامة وانه لم يتهيء للموت او يستعد له.
- ٥- لتوكيد حصول البعث بفضله تعالى فله ان يقيه ميتاً وله ان يبعثه.
- ٦- ليس من وعد الهي بالبعث من جديد في الحياة الدنيا بعد الإمامة بل هو لطف منه تعالى.

٧- هذا السؤال من عمومات قوله تعالى ﴿ وَنَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾

فمن الآيات في المقام جوابه بانه لبث ﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ فالسؤال وجوابه عبرة وموعظة للناس جميعاً لما فيه من العلوم والمعارف

٤٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

الربوبية.

٨- انه مدرسة حوار وضوء مبارك على حال الإنسان عند الموت.

٩- التداخل بين حال النوم والموت عند الإنسان وعدم تمييزه بينهما الا ان يشاء الله، كما في النصوص والأخبار الواردة في عالم البرزخ سواء في اكرام المؤمن او عذاب الكافر.

١٠- بيان اللطف الإلهي في جعل الإمامة كالنوم بالنسبة لمن يشاء من عباده.

١١- الجواب من مصاديق حديث رفع القلم من باب الأولوية، فانه لم يكذب حين قال ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، فاذا كان القلم مرفوعاً عن الإنسان في حال نومه فمن باب اولى ان يكون مرفوعاً عنه حال اماتته.

فان قلت: انه نطق بالجواب في حال اليقظة وليس الإمامة. قلت: بانه أخبر عن حال بحسب علمه، ويلاحظ انه لم يقل لم أعلم ولم يحل مقدار المدة الى علمه تعالى بل أخبر وكأنه واثق من أمره.

وذكر ان اماتته حدثت في اول النهار فقال ﴿يَوْمًا﴾ أي لحال الإسترخاء والإكتفاء من النوم التي يحس بها ولما نظر الى بقايا ضوء الشمس قال ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ، ولكن المعنى اعم فانه يدل على عدم استحضاره لأوان ابتداء نومه والمعروف ان الإنسان حينما يستيقظ من النوم يستحضر اوان نومه وهل هو في اول الليل او وسطه او عند السحر او الفجر او الصباح او انه نوم قيلولة او بعد الظهر او عند العصر، ولكنه ذكر مردد بين طرفيه تباين ليس بالقليل لأن بعض

## معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ٤٤

اليوم جزء منه وتنطبق على الكثير والقليل منه، مما يعني تأثير طول المدة عليه في عدم معرفة أوان ابتداء النوم من غير ان يضر في ظنه بقصر مدته.

والمراد من اليوم هو النهار من طلوع الفجر الى مغيب الشمس وقيل انه من طلوع الشمس الى مغيبها، فالإماتة حصلت في وقت غير متعارف للنوم وهو حجة اخرى فالإنسان لا ينام نهاره كله والنهار جعله الله للعمل والكسب والسعي، خصوصاً اذا كان الإنسان على سفر.

ان السؤال والإجابة عليه نوع اكرام ومناسبة للحجة والدلالة واظهار عظيم قدرته تعالى، ولقد شرفه الله عز وجل بان سأل عن مدة ليله، ولم يأتي السؤال بصيغة النوم بل جاء بعنوان اللبث والمكث في المكان يقال: لبث بالمكان يلبث لبثاً: اقام، واللبث الإبطاء والتأخر، كما في الحديث: "فاستلبه الوحي"، من اللبث أي استبطاً الوحي، فالسؤال ذاته اعم من النوم، ودلالة على المكث والتأخر في المقام ومن طبع الإنسان ان يستكثر مدة الإقامة لميله الى الحركة والانتقال والتغيير ولكن اللبث كان قهرياً.

قوله تعالى ﴿ قَالَ بَلْ لَبِثَ مِائَةَ عَامٍ ﴾

(بل) حرف اضراب واستئناف، وهو على قسمين فتارة يأتي لإلغاء الحكم الذي قبله وتقرير الذي بعده ويسمى الإضراب الإبطالي، واخرى لتقرير الحكم الذي قبله والانتقال الى حكم آخر بعده كما في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ (١).

(١) سورة الأعلى (١٤-١٦).

٤٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

وهو في الآية من القسم الأول أي لإبطال قوله بتحديد مدة اللبث بيوم او جزء من اليوم، ولبيان سعة الفارق والإختلاف والتباين بين اليوم الواحد والمائة عام، والظاهر ان المراد بالعام هنا السنة الشمسية وليس القمرية لإشتراط تضمن العام لشتاء وصيف تامين، فلو كانت الأعوام قمرية، لإبتداء بعضها في منتصف الشتاء او منتصف الصيف الا ان يراد المجموع الإجمالي.

وتنقص السنة القمرية عن الشمسية باحد عشر يوماً تقريباً، وكل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصفاً، وكل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة تقريباً.

وبهذا الإخبار الإلهي تجلت الآية العظمى بالإماتة ثم البعث في الدنيا بعد هذه المدة والكواكب تجري في نظامها وسيرها على انتظام ليشهد استمرار حركتها بذات الدقة والنظام على وجود الصانع والمدبر لهذه الخلائق.

ان طول اللبث رسالة سماوية الى الناس جميعاً للإخبار عن عظيم قدرته سبحانه وقهره للأسباب الطبيعية وخروج بعض الأفراد من القواعد الكلية في نظام الحياة والموت لتكون موعظة وعبرة، فمع لبث العبد وإماتته مائة عام فان الله عز وجل اعاد له الحياة وكأنه لم ينم الا ساعات معدودة، أي ان هذا الموت لم يؤثر في هيئته وبدنه وصورته ولم يغزوه الشيب والهرم، وتلك آية اضافية للدلالة على ان الله يبعث الناس بهيئاتهم وصورهم بحيث يعرفهم من كان يراهم في الدنيا.

ان مائة عام مدة طويلة تمثل حقبة من الزمان تتغير فيها الأحوال والبلدان والشواهد والوقائع، وجاءت كمثال على البعث وان لم يأت الا بعد مئات او آلاف السنين، لأن التذي يقدر على

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٤٦

الإعادة بعد مائة عام قادر على الإعادة والخلق في مدة وزمان  
اطول وانه سبحانه إله حي وقادر في كل زمان.

قوله تعالى ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٗ ﴾

يقال سنه الطعام - بكسر النون - أي تغير وتعرض للتلف،  
(وقال الأصمعي: ارض بني فلان سنه) اذا كانت مجدبة.

وفي دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اعني على مضر  
بالسنة) والمراد من السنة الجذب، ويقال: اخذتم السنة: اذا اجذبوا  
واقحطوا، (والتسنه: التكرج الذي يقع على الخبز والشراب تقول منه  
خبز متسنه) ومشهور المفسرين في الآية: لم يتسنه، أي لم يتغير بمرور  
السنين عليه<sup>(١)</sup>، مأخوذ من السنة، وتكون الهاء اصلية.

لقد تفضل سبحانه بان دعاه الى النظر الى ما كان معه من الزاد  
والشراب وكيف انهما لم يتغيرا خلال مرور هذه المدة الطويلة، ومع  
ان هذا الحفظ بالإعجاز فان وسائل الحفظ والتبريد والتخزين الحديثة  
لا تستطيع حفظ الطعام والشراب هذه المدة من غير تغيير، وترى  
الآية جاءت بلغة التغيير والتبدل وهو ادنى درجة من التكرج وآثار  
التلف الظاهر في توكيد لعظيم قدرته سبحانه.

لقد بُعث وهو يظن انه لم يبق الا يوماً او بعض يوم في حال  
الموت، وعدم تغير الطعام والشراب امران يدلان على قصر المدة على  
الظاهر، فلماذا ذكر الطعام والشراب في الآية اولاً ولم يؤمر بالنظر  
الى الحمار وكيفية اعادة خلقه ليكون قرينة على بديع صنعه في عدم  
تبدل حال الطعام والشراب.

الجواب ان القرائن لا تنحصر بالحمار بل هي شاملة في الآفاق

(١) لسان العرب ٥٠٢/١٣.

٤٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

وما حوله من التبدلات ومنها ما يعرفها في ذات الوقت ومنها ما يعرفها فيما بعد عندما يدخل الى المجتمعات ويرى معالم المدن ودوران الفلك وتقلبات الأحوال كما ان النظر الى الطعام والشراب مقدمة لرؤية الآيات في الحمار.

وهل يمكن القول ان الآية في حفظ الطعام والشراب اقوى واكبر من اعادة الحياة في الحمار، لا دليل عليه، وعلى القول بموضوعية الترتيب وذكر آية الطعام قبل آية اعادة خلق الحمار، فانها معارضة يبعث الروح في الحمار وحصوله بمراى منه وهي آية أكبر من حفظ الطعام.

نعم قد يتمكن العلماء في هذا الزمان من استنساخ الحمار ولكنهم لا يستطيعون حفظ الطعام والشراب مائة عام من غير تبدل في ماهيته وسنخيته وطعمه ومذاقه ومنافعه واضراره، وان كانت قدرة الإنسان على حفظه بصورته النوعية في حال تحققها علمياً لم يغير من موضوع الآية لأنها جاءت على نحو التحدي والأمر الخارق للعادة. ان الإبتداء بذكر هذه الآية دعوة للإهتمام بها واستنباط الدروس والعبر منها واعطاءها الأولوية وهي بشارة حفظ الإنسان للطعام والشراب بوسائط علمية متعددة كما هو حاصل في هذه الايام وان لم يرق في مدته الى السنوات المتعددة لأن الله عز وجل اذا أنزل نعمة فانه اكرم من ان يرفعها بل تبقى في الأرض لتيسر للناس اسباب ومقدمات الإنتفاع منها ولو على نحو الموجبة الجزئية.

ولقد بدأت الآية بذكر الطعام قبل الشراب لأن التلف اسرع اليه من الشراب في الغالب خصوصاً مع عدم عناية الناس بحفظه ولأهمية الطعام عند الإنسان وحاجته له، ولفظ المفرد لم يتسنه وعائديته الى الطعام والشراب معاً دليل على اتحاد موضوع حفظهما.

معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ٤٨

وفي قراءة ابن مسعود: (وانظر الى طعامك، وهذا شرابك لم يتسنن) أي عدم التغيير خاص بالشراب.  
وذكر ان طعامه كان تيناً وعنباً، وشرابه اللبن وعصير العنب، وهما عنوان توفير حاجة الإنسان من الأكل والشرب، فانه تعالى يتكفل ارزاق العباد، وبعد سماع السؤال والأخبار عن مدة الإمامة انتقلت الآية من حاسة السمع الى حاسة البصر لتوكيد سلامته وعدم تبدل او تلف الحواس وان الإحياء جاء مع سلامة الحواس.  
وفي الآية تمرين لذاكرته واخبار عن احتفاظه بها بعد هذه المدة المديدة وتلك آية اخرى، بمعنى ان آية بعثه تتشعب الى آيات عديدة منها ذات البعث واعادة النطق والسمع والبصر والذاكرة.  
وتبين الآية قدرته تعالى على بعث الخلائق مطلقاً ومن الآيات ان الإحياء يتعلق بذوات الأرواح، وان الحفظ يتعلق بالطعام والشراب وهو غير احضاره من جديد او تركه يتلف ثم اعادته على حالته وهيئته الأولى وان كانت الإعادة امراً ممكناً ايضاً، ولكن الآية جاءت لبيان تعدد وجوه قدرته سبحانه وعدم امتناع شيء من الممكنات عنها.

وفي القصة عالم مصغر للبعث وعدم انحصاره باعادة الحياة وان الحفظ والتعاهد وجه من وجوه عالم البعث والنشور، وفي الآية درس عقائدي يتعلق بنواميس الحياة الدنيا وهو ان الإنسان اذا لم يمت موتاً نهائياً فان رزقه يبقى بانتظاره موقتماً كجزء من لطفه ورحمته تعالى بالناس جميعاً.

قوله تعالى ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾

جاء العطف والأمر الثاني بعد النظر الى الطعام والشراب وهناك تباين كبير بين الموضوعين فالطعام والشراب لم يتغيرا، بينما تعرض

٤٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

الحمار للهلاك والتلف، ولو ظل الحمار حياً لجاء على الطعام والشراب وعلى الشخص نفسه من الأيام الأولى الا ان يشاء الله، ولكنه سبحانه اراد ان يريه الآيات المتباينة وكيف ان هلاك الحمار وذهاب لحمه يؤكد طول المدة وحصول التناقض في موضوع واحد وان قالوا في الفلسفة بعدم اجتماع الضدين.

فاحد الطرفين وهو الطعام والشراب لم يتغير بينما الحمار اصابه التلف وفقد لحمه، ومع هذا بقي بعناية خاصة وحجب منعت من اكل السباع له او تعرض عظامه للتلف والنخر وآفات الأرض في طول تلك المدة.

ان آية تلف الحمار تبين بوضوح الإعجاز في عدم طرو التغيير على الطعام والشراب وكذا العكس، أي آية بقاء الطعام والشراب على حالهما تدل على الإعجاز في حال الحمار ولا ينظر له كحيوان بل كواسطة وآلة للنقل وجر الأثقال ووسيلة للنجاة من المفاوز وزينة ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً... ﴾<sup>(١)</sup>.

فكما ان الطعام والشراب يحتاجهما الانسان في سفره وانتقاله وابتداء حياته الجديدة كذلك الراحلة يحتاجها للسفر والانتقال من الموضع الذي اماته الله عز وجل فيه سواء عند القرية المدرسة او في مكان آخر، والأرجح هو الأول بقريظة (الفاء) في ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ ﴾، بالإضافة الى القرائن المقالية والحالية وسنخية الموضوع.

فمن فضله تعالى ان بعث المار على القرية مع تهيئة مستلزمات سفره واقامته من الزاد والراحلة وعدم جعله متحيراً، والظاهر ان الانتقال من القرية لم ينطو على مخاطر كثيرة او انه يحتاج الى رفقة

---

(١) سورة النحل .٨.

معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ٥٠

وسلاح، الا ان يقال بان الموجود معه اعم من الطعام والشراب والحمار وان السلاح وهو السيف في الغالب لم يطرأ عليه التغير والصدأ.

ولكنه بعيد لأن القدر المتيقن تعلق الآيات بذات الشخص وحماره وطعامه وشرابه، ولقد جاء ذكر الشراب على نحو التعدد لبيان آية حفظه وللتباين بينه وبين الطعام في الكثافة والسيولة، وان حفظ كل منهما يستلزم أمراً خارقاً للعادة وعلى نحو الاستقلال والتعدد.

لقد جاءت الآية بالنظر للحمار بحالته وهيئته من التلف وهذه النظرة الأولى ولم تقترن باكساء العظام باللحم، بل لتوكيد صورته وتلفه في ذهنه وعدم طرو الشك له مستقبلاً أو الظن بانه كان في حال حلم او ارباك في بداية بعثه او ان هذا الحمار غير حماره الأول، وهذا التفصيل والتعدد في النظر الى الحمار آية اخرى غير اعادة خلقه، ليرسخ في ذهنه التباين الكبير بين حال الطعام وحال الحمار. ومن دلائل الآية ان الإنسان قد يفقد وسائط النقل ولكن رزقه يأتيه بحسب ما مكتوب له، فالإماتة المؤقتة لا تتعارض مع بقاء مقدار من الرزق لحين بعثته وعودته الى الحياة الدنيا فليس ثمة مدة بين احرازه وادخاره للرزق ليومه وبين بعثه بعد مائة عام.

واضافة الحمار اليه بضمير المخاطب الكاف ﴿حِمَارِكَ﴾ لتوكيد انه ذات الحمار ولإعانتته على استحضر موضوعه خصوصاً وانه اصبح عظماً نخرة مجردة، فالإنسان لا يستطيع ان يميز الحيوان في هذه الصورة الا بمشقة وعلى سبيل الظن الذي له مراتب متعددة من الإعتبار فقد يرقى الى التصديق او لا يرقى، فجاءت الآية لتنبهه وتذكيره به وتعيين عائدية هذه العظام انها لحماره الذي كان يتخذه

وسيلة للنقل.

ولم يمت معه الحمار او يكون بدرجة وحال مماثلة لحاله كما في قصة اهل الكهف ﴿بَاسِطُ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾<sup>(١)</sup> بل اصبح رميمًا، الجواب: للتباين الموضوعي بين اختيار اهل الكهف ولجوتهم الى الكهف، وبين قول هذا المار وما صدر منه على نحو الإستغراب، وتعدد الهيئات والصور في ذات الموضوع دليل على بديع خلقه وعظيم قدرته سبحانه.

وبينما امات الله المار على القرية وحفظ له طعامه وشرابه فان الحمار لم يبق منه الا العظام، فلماذا لم يمته الله معه او يبقيه نائمًا او حياً تلك المدة، لقد اراد الله عز وجل ان يبين له كيفية بعث الإنسان بمثال من عالم الحيوانات ليكون شاهداً امامه وحجة على الناس، ولنفي شبهة الأكل والمأكول التي اثرت في موضوع البعث وهي ان انحلال اعضاء الإنسان وتحوله الى مادة في غذاء النبات ودخوله في العناصر الغذائية المكونة لإنسان آخر يختلف عنه في السنخية العقائدية والإيمان والكفر يجعلها مشتركة بينهما، فالى من ترجع هذه الأعضاء، وهذه الشبهة باطلة من وجوه تقدم الكلام عنها.

وان قوله تعالى ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ يفيد في ظاهره انه قد ربط الحمار في موضع محدد ويكون معنى الآية وانظر الى موضع حمارك، بحذف مضاف، وهذا الربط يجعل الحيوان لا يعيش طويلاً لعدم قدرته على الحركة وتناول العلف والماء من حوله، وكأن الآية تحد له وابطال لقوله، فاذا كنت تزعم انك لم تلبث الا يوماً او

---

(١) سورة الكهف ١٨.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٥٢

بعض يوم فانظر الى حمارك معك لم يبق على حاله اذ المفروض انه مربوط الى جانبك ولا يطراً عليه تغيير وانه لا زال حياً يرعى الى جانبك و ينتظر منك الحركة والانتقال الى موضع آخر. وبالنظر الى ما حلّ بالحمار يعلم الإنسان ضعفه وجهله بنفسه وغياب ارادته تحت سلطان النوم وانه لا يمتلك القدرة على حفظ ممتلكاته وما حوله من الأشياء لفقدانه الحس والإرادة عند النوم لأنه يصبح تحت سلطانه، ومن يكون تحت سلطان غيره كيف يكون له أمر وشأن مستقل، وما دام النوم هكذا يعمل بالإنسان فان حاجته وضعفه يدفعانه للجوء الى القوي العزيز القادر على البعث والإحياء وهو ﴿ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾<sup>(١)</sup> حفظ الحمار والأكل والشرب بعد مرور مائة سنة.

وكما في الحج تكون الإستطاعة هي الزاد والراحلة بمعناهما الاصطلاحي المناسبة للحال والشأن والزمان، فكذا بالنسبة للأكل والشرب والحمار فانها عناوين لحفظ المال والأعيان للذات وللذرية، وانه سبحانه اذا اعطى يعطي بالأوفى والأتم، فلم يبعثه بشخصه وحده ويتركه يبحث عما يستر عورته ويسد رمقه ويدفع الجوع والعطش عنه بل هبئ له حاجته من الغذاء كما يجد المولود حليب الأم في انتظاره عند خروجه الى الدنيا.

ان الأمر بالنظر الى الحمار اعم من وجوده على حاله، بل انه امر بتفقدته والنظر الى ما صار اليه، بدليل ان الأمر بالنظر الى الطعام والشراب جاء مقيداً بالحفاظ عليه وعدم اصابته بالتلف والنقص، اما بالنسبة للحمار فجاء مطلقاً ويحمل على عدة وجوه منها:

١- انظر الى موضع حمارك.

(١) سورة يوسف ٦٤.

٥٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

- ٢- تفقد حمارك.
  - ٣- انظر الى حال حمارك وما اصبحت عليه.
  - ٤- الأمر بالتحدي ومعناه هل تجد حمارك على حاله التي تركته بها.
  - ٥- انظر له كمقدمة علمية لاعادة اللحم والحياة اليه.
  - ٦- ان الله عز وجل لا يحيي القري وحدها بل يعيد الكائنات والاحياء التي كانت فيها فمن مقومات الحياة في القرية استخدام الحمير للنقل والركوب.
- لقد اراد الله عز وجل ليريه آية بعث الإنسان بكيفية نشر الحمار واعادة الحياة له بعد تثبيت حقيقة وهي انه اصبح عظماً نخرة مما يؤكد ان المدة لم تكن يوماً او بعض يوم، خصوصاً وان بقاء الطعام والشراب على حالهما لا يدل على طول المدة بل بالعكس ولا بد من اسباب اخرى لمعرفتها وعلتها.
- فجاءت آية الحمار شاهداً ودليلاً وبرهاناً على طول استمرار المدة لعشرات السنين، وان كان مجرد الإخبار منه تعالى ﴿ قَالَ بَل لَّيْسَ بِمِائَةِ عَامٍ ﴾ ، يفيد التصديق والقبول منه بدليل ان الأمر الإلهي بالنظر الى آيات الطعام والشراب والحمار لم يكن لإثبات هذه الحقيقة على نحو الخصوص بل جاء لتوكيدها وامضائها.
- ودعوة الذي مر وغيره للإستعداد له للعالم الجديد والإقرار بالبعث والنشور والإستعداد له والدعوة الى الله عز وجل، مع اعتبار المائز في سنخية الإنسان عن الحيوان وان الله عز وجل شرفه بان نفخ فيه من روحه وجعله خليفته في الأرض، فحينما اماته على نحو مؤقت تعاهده وحفظه وأكرمه بالإماتة ولم يتركه ليكون عظماً نخرة،

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٥٤

اما الحمار فانه مخلوق لحاجة الإنسان وانتفاعه منه وليس فيه روح  
الآدمي لذلك اصبح عظماً بالية على القول بان المراد ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى  
الْعِظَامِ ﴾ أي الى عظام الحمار وليس عظام الشخص نفسه.

وتدل الآية على شرف الإنسان ولطفه تعالى به وعدم تركه يبلى  
ما دام البعث في الدنيا ينتظره، فالآية الكريمة تظهر الفارق بين  
الإنسان والحيوان في الخلق والحفظ وتبين منافع وجود الروح عند  
الإنسان ونفخه تعالى فيه من روحه.

وتشترك افراد الآية الأربعة الإنسان والطعام والشراب والحمار  
بآية الحفظ من آفات الحشرات التي تنمو بالآلاف في الجيفة والبدن  
الساكن وتنجذب الى الطعام والشراب، وبينما بقت الفاكهة والعصير  
على حالهما لم تصل اليهما فان العالم اليوم بعلمومه ووسائله  
التقنية الحديثة يئن من اذى الحشار ويظهر العجز في مكافحتها  
خصوصاً مع قدرتها على التكيف للبيئة والعيش في المناطق القطبية  
المنجمدة وفي خط الاستواء والبحار.

قوله تعالى ﴿ وَنَجْعَلُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾

لقد جاءت الآية بلفظ الناس أي على نحو الإطلاق المؤمن  
والكافر، والذكر والأنثى، والكبير والصغير، والعالم والجاهل، كما  
انها لا تنحصر بزمان دون زمان بدليل توثيق القصة في القرآن ومعرفة  
المليين بموضوعها امساً واليوم وغداً، ولا ينحصر ما في هذه الآية من  
المسائل بصاحبها او ببلدته او ملته او زمانه، ومن هذا الإطلاق  
تعرف عظمتها واهميتها وحاجة الناس لها كدرس عقائدي في البعث  
والمعاد.

لقد اصبح هذا الشخص علامة باهرة تدل على عظيم قدرته

٥٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

تعالى لأنه يعيش في زمان غير زمانه وهو اصغر من احفاده ولا بد ان الآية تتعدى موضوع مدة الإمامة بل تشمل حفظ عقيدة التوحيد ومنع الناس من الغفلة والجهالة، ودعوتهم الى التدبر في قدرته تعالى كما تبعث الخوف والخشية منه تعالى مع الأمل والرجاء، وتنتهي الجدل حول المعاد وتحول دون تفشي الشبهات في موضوعه بين الناس فهي آية حاضرة في كل زمان ومثال بين يؤكد امكان حصول البعث.

وهذه الآية حث للمسلمين على استثمار موضوعها والتحقيق بتفاصيلها واستخراج كنوزها وجني ثمارها وجعل فوائدها تعم الناس جميعاً، واستثمار وسائل الإعلام الحديثة المقررة والمسموعة وادوات الأدب والشعر للتوكيد عليها كحقيقة واعجاز وجعلها قريبة من الواقع اليومي للناس لتكون دعوة للصالح والرشاد والتذكير بالموت والإستعداد لليوم الآخر.

ولغة الخطاب في الآية والإخبار الإلهي بانه صار آية عنوان تتشريف واکرام ودلالة على ان الذي مر على القرية كان مؤمناً وان ايمانه مستصحب عند استيقاظه وبعثه بعد اماتته.

والآية في المقام على عدة وجوه:

- ١- الإحياء والإماتة.
- ٢- بعثه في غير زمانه.
- ٣- سيرته وصلاحه بعد بعثه.
- ٤- كونه شاهداً على زمانه الأول.
- ٥- اسباب الإمامة بعد تسالؤه حول احياء القرية التي صارت مندرسة وخراباً.
- ٦- حفظه في بدنه مدة الإمامة.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٥٦

- ٧- انه آية من قدرته تعالى وسلطانه وعدم استعصاء مسألة عليه.
- ٨- الإحياء علامة ودلالة على المعاد وحصول البعث.
- ٩- ان الإحياء بعد الإمامة لا ينحصر بزمان دون زمان فليس من خصوصية ولكن الواقعة تأتي لتكون عبرة وموعظة.
- ١٠- حجة في حفظ التوراة وتدوينها من جديد.
- والآية متعددة الجوانب والحديثات كثرة وقلة وشدة وضعفاً وهي انحلالية بالنسبة للناس جميعاً فكل انسان يتنفع من بعض جوانبها او من الجميع وبعد امره بالنظر الى حماره وقيامه بالإمتهال والنظر اليه عظاماً بالية جاء الاخبار عن طول مدة الإمامة في لطف منه تعالى بتقريب العبد الى الإيمان والتصديق بالآيات، فحينما قال اني كنت نائماً ولم يستغرق نومي الا يوماً او بعض يوم.
- لقد اراد الله عز وجل ان يساعده في معرفة حاله وطول مدة اماتته بان امره بالنظر الى الطعام والشراب وهما على حالهما لم يتغيرا، وظاهر الأمر اعتباره عدم التغيير مصداقاً لقوله لولا الأخبار الإلهي عن الواقع الحاصل، فجاء الأمر الإلهي الثاني بالنظر الى الحمار لبيان قدرته تعالى على الحفظ والتلف في وقت واحد، وان كلاً منهما امر وجودي يحصل بمشيئته سبحانه، فلا حفظ الأكل والشرب أثر على سريان التلف في الحمار، ولا طول المدة سبب تلف الأكل والشرب، اما بالنسبة للشخص نفسه فكان برزخاً بينهما، لقد اماته الله مع حفظه في بدنه وسلامته من الآفات وهوام الأرض والسباع ليكون هذا الحفظ وحده آية للناس ودعوة لهم للإيمان والهداية.

قوله تعالى ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾

٥٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

تكرر الأمر بالنظر في الآية ثلاث مرات، فبعد مائة عام من الإمامة جاء فعل الأمر (انظر) متعاقباً متتالياً مرة بعد سؤاله ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ مما يدل على امتلاكه لقدراته العقلية كاملة، وبعد النظر الى الطعام والشراب والنظر الى الحمار، جاء النظر الى العظام وتحتل وجوهاً:

١- عظام الشخص المار نفسه.

٢- عظام الحمار.

٣- عظام شخص او حيوان آخر.

اما الثالث فبعيد وخلاف سياق الآية، واما الأول فذهب اليه قتادة وهو ضعيف لأن الله عز وجل خاطبه ابتداءً وسأله عن طول مدة مكثه وامره بالنظر الى الطعام والشراب ثم الحمار للإعتبار والتصديق بل ان النظر تعلق بما حوله مما يمتلكه وكأن الآية تبين حفظه تعالى للعبد وما يملك وانه يوم القيامة يحضر مع ما عنده من الملك والأعيان ليستل عن كيفية اقتنائها واستعمالها ولتكون شاهداً عليه او عوناً له.

وموضوع الآية هو الثاني أي عظام الحمار نفسه، فالنظر الأول الى الحمار جاء لتثبيت حالة موته وهلاكه وتلف لحمه وهو خير شاهد ساعتها على طول مدة الإمامة في اعانة للعبد للتصديق بطول مدة الإمامة ولينظر الى فضله تعالى عليه بالفارق بين بعثته واعادة الحياة في الحمار.

مما يعني ان الإنسان لا يختلف عن سائر الحيوان بالعقل فحسب وانه لم يكن حيواناً ناطقاً فقط كما عليه تعريف المنطقة، بل ان خلقه وتركيبه وشرفه وما نفخ الله عز وجل فيه من روحه يجعله وتركيبه جنساً آخر عن عالم الحيوان وان هذا المائز يتجلى في البعث والنشور لذا جاءت النصوص بان الناس ينشرون دفعة واحدة لطفاً منه تعالى

معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ٥٨

وتخفيفاً عن العباد في عملية البعث والنشور مع انه يمر بمراحل الإعادة.

لقد اكرم الله عز وجل هذا المار وكل انسان بان بعثه من الإمامة دفعة واحدة بينما جعل اعادة الخلق تجري امامه بحماره، الذي هو مسخر له ك انسان ومالك.

وفي المرة الأولى جاءت الآية ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ وهنا جاءت بقوله تعالى ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ ﴾ ، ولا تعارض بينهما مع اتحاد الموضوع ومتعلق الأمر والنظر فالمراد في الأول ما آل اليه حمارك من التلف وكيف انه شاهد على طول مدة الإمامة وللإعتبار بان نتيجة الملك هي التلف والزوال، وان الخراب لا ينحصر بالمساكن والقرى بل يشمل سائر الممتلكات مع وجود الفارق فبعضها من الجمادات كالبناء، وبعضها من الأجسام النامية المتحركة التي تتوالد وتتكاثر، والتلف يتعلق بالأفراد وبالجنس، ولكن الآية جاءت بخصوص فرد منها.

لقد اراد الله سبحانه ان يريه كيفية اعادة الحياة بمراحلها التفصيلية من اعادة هيئة العظام الى حالها قبل ان يكسوها باللحم مع تلفها بعد هذه المدة التي لا تبقى معها العظام وهي معرضة للهواء والريح عادة سواء كان الحمار صغيرا في عمره وتتلف عظامه بسرعة او كبيراً وتقاوم الذوبان عدة سنوات اخرى للتكلس الزائد الحاصل فيها ومنها عظم العصعص الذي يبقى آخرها لأنه اضخمها واكثر اجزاء الهيكل العظمي قوة وسمكاً.

فالنظر الأول جاء بلحاظ الإسم والعائدية وبيان الأثر، اما النظر الثاني فجاء بحسب الحال، وهذا التفصيل لتثبيت حقيقة اعادة الخلق والمنع من الخلط والإشتباه في التفسير والتأويل خصوصاً وانه آية

٥٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

للناس والآية لا تنحصر باماتته واحيائه بل تشمل طعامه وحماره وملبسه ايضاً، فكما حفظ الله عز وجل الأكل والشرب فانه حفظ له ملبسه التي عليه رافة به وهو امر مستقراً من قوله ﴿لَبِثَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نظر الى نفسه وبدنه وملبسه على حالها لم يطرأ عليها تغيير او تحويل او تبدل وهو اكرام اضافي بستره تعالى للإنسان وعورته، وقد وردت النصوص بان الناس يبعثون باكفانهم لذا تستحب امور في الكفن منها انه ابيض ومن القطن.

ان المرور على القرية جاء كناية عن حال السفر وان السؤال عن الحيوانات الهالكة، او انه عنهما معاً عن القرى والحيوانات الهالكة. فان قلت: ان العظام ذاتها تتآكل وتنخر وتلف والآية جاءت بكسوتها لحماً.

قلت: ان قوله تعالى ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ اعم من وجودها هذه المدة على حالها فقد تكون اعيدت بقدرته تعالى ساعة الإحياء والسؤال، وان هناك حذف تقديره (انظر الى اعادة العظام او الى العظام كيف نعيدها)، او انها حفظت بقدرته تعالى.

### بحث فلسفي

اختلف الناس في ايجاب المعاد وحصول عالم آخر بعد الموت او عدمه والمليون على اختلاف مذاهبهم مجمعون على حصوله لم يشذ احد منهم وان تباينت اراؤهم واختلفوا او تقاتلوا فيما بينهم.

واستدل على وجوبه بالنقل والعقل، فمن النقل الآيات التي جاء بها كل كتاب نازل من السماء ليكون موضوع المعاد وعنوان الوحدة بين الملل السماوية وشاهد صدق على نزولها من عنده تعالى واتحاد

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٦٠

الموضوع والجهة والعنوان قال تعالى ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (١).  
اما بالنسبة للعقل فاعادة بناء العالم امر ممكن عقلاً باعتباره من  
افراد الممكن والموجود، اما الممكن فان الله عز وجل قادر على  
الممكنات والمقدورات جميعاً، واما الموجود فهو شاهد على امكان  
حصوله من جديد لأن ما صار ابتداء يمكن حدوثه مرة اخرى  
ولإتحاد الحكم في المثليين.

واحتج المنكرون للمعاد بانه لو وجد عالم آخر فان طلب عناصره  
من الأرض والماء والنار ومواضعها يلزم القسر والاختلاف ويلزم  
حصول الخلاء بينهما، ولكن هذين الإشكاليين لا يضران في اصل  
الموضوع والمعاد لأن الاختلاف في العرض والشكل دون المضمون  
وليس من دليل على حصول الخلاء.

والله عز وجل قادر على الإعادة بذات الهيئة او بصورة اخرى،  
ثم ان موضوع المعاد يتعلق بالناس، وبعثهم مباين ومختلف عن  
حالهم في الدنيا فهم في النشأة الأولى على نحو الأجيال والتعاقب  
فانهم يبعثون دفعة واحدة، وكأن هذه الصحارى والمفاوز والبحار  
اعدها الله عز وجل ليوم النشور كالبناء الذي يهيئ لمناسبة او ندوة او  
يعدده شخص لإبنائه من بعده.

فكذا هذه الصحارى التي يعجز الإنسان عن اصلاحها والقرى  
التي تصبح ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ يمر بها الإنسان ليعتبر فانما هي  
جزء من العالم الآخر وموضوع لبعض الأجيال من المتقدمين او  
التأخرين ليحشروا عليها ويحاسبوا عليها او ليقيموا فيها خصوصاً

---

(١) سورة يس ٨١.

٦١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

وان يوم القيامة ليس كأيام الدنيا ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (١).

لقد تكرر النظر في الآية والظاهر انها الآية الوحيدة التي يرد فيها فعل امر بلفظ واحد يتكرر ثلاث مرات (انظر) للتوكيد على تعدد الآيات وان كل آية منها برهان وحجة.

قوله تعالى ﴿ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾

قرأ حمزة والكسائي (ننشزها) بالزاي وهو المرسوم في المصاحف والمراد نرفع العظام بعضها الى بعض، ويقال انشزته فنشز أي رفعته فارتفع، ويقال لما ارتفع من الأرض نشز، لبيان كيفية اعادة العظام وانتزاعها من الأرض بعد انحلالها واستهلاكها فيها فترد الى الجسد ويركب بعضها على بعض في آية اعجازية تشهد على عظيم قدرته تعالى مما يعجز عنه علم الطب والجراحة الحديث الذي يعالج الكسور ويقوم بوظائف التجميل ونحوه.

فجاءت الآية للإخبار عن اعادة ايجاد العظام ثم تركيبها بعضها على بعض من خلال المفاصل والروابط، أي انها ليست عظاماً صناعية او من حيوان آخر لتزرع في جسم الحمار بل انها عظامه الأصلية ذاتها.

فان قلت: اذا كانت العظام رفعت من الأرض لتتصل بعضها ببعض في انتظام والعظام هي اصل هيكل الحيوان، وقوله تعالى ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ ظاهره انه نظر الى موضع الحمار.

---

(١) سورة الحج ٤٧.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٦٢

قلت: ان الموضوع لم يكن خالياً من بقايا الحمار وعظامه بل ان بعضها كان موجوداً مفككاً لذا لم تأت الآية بصيغة الإطلاق وتقول وانظر الى عظامه، بل قالت الى العظام وانه حينما نظر الى حماره امثالاً لأمره تعالى كانت هناك بقايا من بدن الحيوان ليعاد الباقي على تركيبته الأصلية بالإضافة الى غضارتها وما فيها من نخاع وتجويف ودم ومناعة.

والنظر الى العظام فيه اكرام اضافي للإنسان لأن الله اماته نفس المدة ولكن حفظه من تفكك الأوصال والعظام، وكما ننظر الى التباين بين آية الطعام والشراب وحفظهما من جهة، وآية تلف الحمار من جهة اخرى، فكذا يجب ان ننظر الى التباين بين بقاء الإنسان ميتاً في هيئته ذاتها وبين تفكك اوصال الحمار وتناثر عظامه ولحمه، اي ان النظر الى الحمار كان مناسبة لشكره تعالى على الحفظ والتعاهد وما فيه من التشريف والاكرام للانسان حياً وميتاً.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾

(ثم) تفيد الترتيب والتراخي ولكن الآية والأمر بالنظر جاء واحداً بمعنى ان الأمر يستلزم استدامة النظر كي تلتئم العظام ويتصل بعضها ببعض وبعدئذ تبدأ مرحلة اكسائها اللحم، وهو سبحانه قادر على ارجاع حال الحمار الى هيئته الأصلية في الحال بمشيئته وقوله (كن فيكون)، ولكنه شاء ان يجعل الإعادة على مرحلتين وكل مرحلة تدريجية وليس دفعية للبيان والحجة، لأن امره تعالى (انظر) يفيد الإعتبار والإتعاظ وهما امران يتحققان مع التدرج وتعاقب اعادة الحمار الى حالته الأصلية اكثر منه في حال الدفعة الواحدة، فحينما بقي الطعام على حاله، فان الحياة تعود للحمار على مرحلتين متصلتين ليس بينهما فاصل زمني، فجعل الله عز

٦٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

وجل مرحلة للعظام ومرحلة للحم.  
وجاءت بلفظ الكساء وهو اللباس والساتر أي ان اللحم يكون واقية وسترأ ولباساً ووقاء للعظام، وان اكتساء العظام باللحم من بديع صنعه تعالى واكرامه للإنسان، وجعل اللحم يكسو العظام فلا تستبين في هيئتها وحركاتها، كما انه سبحانه تفضل بجعل اللحم يكسي عظام الحيوانات ليكون منظرها جميلاً عندما ينظر اليها وليحسن استخدامها والانتفاع منها وتسخيرها في قضاء حوائجها فلو كان الحمار بهيكله العظمى فقد يشق عليه ركوبه ويهلك قبل اوانه. وبينما تنمو العظام واللحم والعروق والأعصاب بعرض واحد عند الحيوان في بطن امه وحالات نموه المختلفة فانه في هذه الآية جاء على مراحل خلافاً للمتعارف في خلق وحياة الحيوان فجاءت الآية خارقة للعادة على نحو مركب وبدأت بالعظام واعادة تركيبها والمفاصل ملحقة بالعظام ثم ثنت باللحم وموضوعه لا يتعلق بالإكساء فقط بل بالإيجاد والاعادة وهو امر اهم من الإكساء ولم تذكر ايجاد اللحم الا انها دلت عليه بالإضافة الى ادراك العقل وهل هو نفس اللحم الأصلي للحمار ام انه لحم جديد.

ظاهر الآية هو الثاني لأنها وردت بصيغة التنكير والمضارع ﴿ نَكُسُوهاَ لَحْمًا ﴾ كما لو تناثر اللحم او هزل الحيوان فان لحمأ جديداً ينمو عليه ولا يتعارض هذا مع اعادة ذات الحيوان، والعروق والأوردة تابعة للحم ولم تتعرض الآية للأحشاء كالقلب والمعدة مع اهميتها ولكنها تدل على اعادتها بالدلالة التضمنية لأن الإكساء باللحم والجلد هو آخر مراحل الاعادة والخلق فتبارك الله احسن الخالقين.

لقد اراد الله عز وجل للعباد بهذه الآية الخروج من ظلمة الجهالة

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٦٤

الى نور المعرفة، ومن غيابت المعاصي الى بهاء الطاعة، ومن وحشة الكفر والجحود الى السعادة التي تملأ الجوانح بسبب الايمان والرشاد.

قوله تعالى ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾

جاء البيان في الآية الكريمة عملياً واعجازياً، بالإماتة والخلق والإعادة والنشور، فلا بد ان يؤدي الى نور الايمان وثباته في النفس الإنسانية، (ويتبين) فعل مضارع وفاعله مضمرة غير مذكورة في الآية وهو على وجوه محتملة منها:

- ١- تبين له كيف تكون الإعادة والخلق.
- ٢- ان الله على كل شيء قدير.
- ٣- ان الله يحيي الموتى ويبعث من في القبور.
- ٤- احياء القرية أمر ممكن بدليل اماتته وحيائه واعادة خلق الحمار.

- ٥- حتمية احياء الموتى وحصول الحساب.
  - ٦- ان الله عز وجل لا تستعصي عليه مسألة.
  - ٧- تبين له ان الإماتة كانت لمائة عام وليس ليوم او لبعض يوم.
- لقد اخبرت الآية عن تحقق البيان وحصول المعرفة وان الآيات جاءت برهاناً ساطعاً ودليلاً قاطعاً على امكان الإحياء، وعلى فرض ان الذي مر على القرية هو مؤمن وهو الأرجح وانه نبي فان هذا التبين لا يدل على انه كان كافراً شاكاً بالإعادة والخلق، بل جاء كدرس للإتعاظ وان الله عز وجل تفضل عليه بالإخبار العملي.
- وتدل الآية على فضل المسلمين واهليتهم لأخذ دروس الايمان بالسمع وآيات القرآن، وورد لفظ (يسألونك) في القرآن خمس عشرة مرة كلها عن احكام الشريعة ومسائل الحلال والحرام والروح كما

٦٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
كانوا يتلقون الجواب القرآني بالقبول والإكرام والإمثال الحسن  
والفوري.

وحتى هذه الآية استفاد منها المسلمون وكأنها واقعة لهم خصوصاً  
وان كل مسلم يعلم انها خطاباً وارشاداً موجهة له في مقاصده  
وغاياته السامية وان كان بصيغة القصة والخبر، وهذا من خصائص  
قصص القرآن ان تأثيرها على النفوس متصل ومستمر ويشعر المسلم  
بحضورها في ذاكرته وذهنه وواقعه ويتلقفها بالتسليم.

وهذا الأمر من مصاديق الحسن الوارد في الوصف السماوي  
بقوله تعالى ﴿ نَحْنُ نُقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾<sup>(١)</sup>، فمن حسنها  
انها تنفذ الى شغاف القلوب وتؤثر في اختيار الفعل وترسخ في  
الجوانح والأركان، وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ ﴾ اعم من القضية  
الشخصية فانه تبين للناس جميعاً من خلاله، وهكذا الخطابات  
القرآنية توجه للأفراد ولكنها تهتم الناس جميعاً.

والوقائع تحدث لأشخاص معدودين ولكن الله عز وجل يجعلها  
قريبة من اذهان واوهام الناس وتعيش في مداركهم ومخيلتهم وتحتل  
احداثها حيزاً من محادثاتهم والنقاشات العامة التي تدور بصددتها مع  
الأكرام لمقام النبوة وشخص النبي، وكذا بالنسبة لهذه الآية وان  
كانت بمرتبة اقل فان النقص في قلة استثمار موضوعها وكيفية توظيف  
قصة الإعادة والبعث الدنيوي هذه في الواقع اليومي لأنها تصد متقدم  
لشبهات محتملة تطرأ على الأذهان وردع لأهل الضلالة والجحود  
ومنع لهم من استغلالها ومحاولة بث روح التشكيك في حقيقة المعاد  
ولإقامة الحججة على الناس بانه أمر حتمي.

---

(١) سورة يوسف ٣.

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٦٦

والى جانب الآيات التي تؤكد على البعث والنشور وما اخبر به الأنبياء من حتمية احياء من في القبور فان هذه الآية جاءت بلغة القصة والواقعة لتقريب امر البعث الى الأذهان وجذب الناس الى الإطلاع على تفاصيلها وكيفيتها واستيعاب وفهم مضامينها لتنعكس على الجوانح والأفعال وتكون سبباً للإيمان وباباً للهداية ومناسبة لحياة القلوب.

فاذا كانت القصة تتناول احياء شخص وحماره فانها وسيلة لحياة القلوب واعمارها بالتقوى وهي مادة روحانية لصالح المجتمعات بالإقرار النوعي العام بالبعث والحساب وما يترشح عن هذا الإقرار من الإستعداد للنشأة الآخرة بالعمل الصالح والتقوى واسباب الرشاد، ومن طبيعة الإنسان ان الشيء اذا كان حاضراً عنده، وفي ذهنه فانه يتهيء له ولا يغفل عنه وهذه الآية بيان مصغر لعالم الآخرة ودعوة عملية انطباقية لعدم تركه او الإعراض عنه.

لقد جاءت هذه الآية رحمة للناس جميعاً فكل واحد منهم ينتفع منها بمقدار معين بحسب ادراكه وايمانه والتفاته وبيئته، كما انها سلاح بيد المصلحين والعلماء والوعاظ ورجال الفكر والتعليم للتفقه بمضامينها وتبيان مفاهيمها وجعل العالم الآخر قريباً من الأذهان ظاهراً في الأفعال.

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قرأ حمزة والكسائي (قال أعلم) على صيغة الأمر، أي ان الله عز وجل امره بان يعلم بان الله على كل شيء قدير وهو موافق لقراءة عبد الله بن مسعود والأعمش، قيل اعلم ان الله على كل شيء، والأرجح ما مرسوم في المصاحف وهو مناسب لسياق الآية وموضوعها ولا يتعارض مع كون الشخص مؤمناً او نبياً.

٦٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

وفي الآية وجوه:

- ١- هذا القول لا يدل على سبق الكفر عليه او ان حال الإيمان والعلم امر جديد حاصل مما تبين له بعد الإمامة والأحياء.
  - ٢- انه سبب لزوال الهاجس والشبهة التي تطرأ على النفس، وما يخالجها من تساؤل استنكاري عن البعث.
  - ٣- انه رد عملي كريم عن السؤال عن كيفية البعث بعد التسليم به وبجتمية حصوله.
- والجواب هو الثالث فالآية لطف الهي وفضل عظيم على الذي مر القرية وعلى الناس جميعاً وهو دعوة للكف عن مثل هذا التساؤل بعد ظهور الآيات الباهرات في قصة واحدة، وقوله ﴿أَعْلَمُ أَنْبَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تقرير وامضاء لإعتراف وتجديد للشهادة وتوكيد للتسليم بعظيم قدرته تعالى، فهذه الشهادة ليست شهادة مستحدثة بعد الآية بل انها ثناء على مقام الربوبية.
- انه اظهار للتسليم بقدرته تعالى في ابهى الصيغ وجوامع الكلم، (وحيثما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرية من اهله وقال اللهم لك علي ان رددتهم سالمين ان اشركك حق شكرك، فقال حينما عادوا الحمد لله على سابغ نعم الله).
- ان خاتمة الآية قاعدة كلية وحقيقة عقائدية تنبسط على جميع الممكنات، وان هذه الآية مصداق من مصاديقها وفيها اخبار عن عدم استعصاء مسألة عليه تعالى وان آياته في الكون والآفاق والنفوس، ومن قدرته تعالى استمرار الحياة فاذا كانت الإمامة آية منه تعالى فان بقاء الإنسان حياً آية اخرى تدل على بديع صنعه تعالى وعظيم قدرته سبحانه.

ففي كل استيقاظ بعد النوم بعث جديد، وكل ساعة تمر على الانسان يحتاج فيها الى من يقيه على قيد الحياة ولا يقدر على ذلك الا هو سبحانه، فهذه الخاتمة جاءت للاعتراف بالآية ذاتها وبما هو أكثر وأعظم منها، انها مقدمة كلامية لمسائل متشعبة في سلطانه وجبروته وقدرته سبحانه.

كما تدل الآية على ان المار على القرية كان مقراً بالذات المقدسة ابتداءً وانتهاءً، اما الإبتداء فقوله تعالى ﴿ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتَهَا ﴾ فقد أقر بوجود الصانع وتساؤله تعلق بالإعادة وليس بابتداء الخلق، وهنا ايضاً اظهر التسليم بقدرته المطلقة سبحانه وهو يدل بالدلالة التضمنية على الاعتراف بالربوبية لأن الإقرار بالصفات يأتي متأخراً عن الاعتراف بالذات.

ومن صفاته الثبوتية سبحانه انه قادر مختار وانه ان شاء فعل وان شاء ترك، وقدرته تتعلق بجميع المقدورات ونسبتها الى الجميع متساوية لأن الأشياء جميعها مستجيبة لأمره.

وقوله (اعلم) قرينة مقالية وحالية على استدامة الإيمان عنده وان العلم بعظيم قدرته تعالى مستديم وثابت عنده، وانه لم يقل ما قال قبل الإمامة عن شك او شبهة، وفيه ثناء على مقام الربوبية وعلان عن ثبوت الإيمان في نفسه قبل القول ومعه وبعده.

فمع فضله سبحانه عليه بالآيات فانه سبحانه اخبر عن ايمانه وان الذي رأى هذه الآية مؤمن، لذا وردت النصوص بانه نبي خصوصاً وان موضوع الآية التي قبلها والتي بعدها جاء متعلقاً بابراهيم عليه السلام وبالإمامة والإحياء.

## بحث بلافي عقائدي

٦٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

في قوله تعالى [ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ] آية ٢٥٨  
في باب المبهمات في القرآن واسبابها ذكر في هذه الآية ان المراد  
نمرود ولم يتعين لإشتهاره لأنه المرسل اليه، (قيل: وقد ذكر الله  
فرعون في القرآن باسمه ولم يسم نمرود، لأن فرعون اذكى منه، كما  
يؤخذ من اجوبته لموسى، ونمرود كان بليداً ولهذا قال انا احيي  
واميت، وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن آخر، وذلك في  
غاية البلادة)<sup>(١)</sup>.

ولكن هذه الآية جاءت بصفة الملك ﴿ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ مع قرينة  
تدل على انه ملك بقوله ﴿ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ﴾، كما ان فرعون ليس اسماً  
خاصاً لملك مصر الذي ناظره موسى ﷺ ودعاه الى الإسلام، بل ان اسم  
فرعون لقب لكل من ملك مصر، ومعناه في العربية التمساح، واسمه الوليد  
بن مصعب وكنيته ابو العباس وقيل ابو الوليد، كما في اسم كسرى لقب  
لكل من ملك بلاد فارس آنذاك، واسم تبع وانه لقب للملوك اليمن سمي به  
لأنه يتبع ويتعقب من قبله من الملوك او لكثرة الأتباع والأعوان.  
وكل عات فرعون يقال تفرعن وهو ذو فرعنة أي انه صاحب  
مكر ودهاء، وفرعون على وزن برذون، وقيل انه اسم أعجمي  
والواو والنون زائدتان، ولوعرف في حال تنكيره لانصرف، وجمعه  
فراعنة.

وذكر ان فرعون ابراهيم الخليل ﷺ اسمه سنان، وفرعون  
يوسف ﷺ اسمه الريان بن الوليد، وكان بين اليوم الذي دخل فيه  
يوسف عليه السلام مصر، اليوم الذي دخله موسى ﷺ أربعمئة عام.  
وقيل ان اسم تبع هو اسعد بن ملكي - كرب - ولا دليل على ان

(١) الاتقان في علوم القرآن ٧٩/٤.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٧٠

نمرود كان بليداً او ان فرعون كان ذكياً، فالذكاء ملكة وقوة عند الإنسان وفضل منه تعالى لإعانتة على الإهتداء الى الحق وتصديق الرسالات.

والذكاء في الإصطلاح هو سرعة تلقي الشيء لحدة القلب وانقذاح النتائج وسهولتها على النفس وقد يطلق على الفطنة، وضدها الغباوة، نعم الناس مختلفون في القرائح والطباع، واللطافة والكثافة، والفطنة والغباوة، ولكن أدلة التوحيد وظهور الصفات الجمالية والجلالية تتجلى بالآيات الباهرات في النفس والآفاق وتصلح لكل مراتب الذكاء او الغباوة لأن كلاً منها يصدق عليه انه عقل.

ولو شككنا بالملك هل هو ذكي او غبي، فالأصل الذكاء والإبتعاد عن الغباوة لمستلزمات ادارة الملك وتولي شؤونه ولما في التلبس به من تنمية للمدارك العقلية والخبرة والفهم، نعم قد تستحوذ على الانسان وان كان ذكياً النفس الغضبية والشهوية وحب الرئاسة وزينة الدنيا ودوام وجود الأتباع، فيتجه الى العناد ويركبه الغرور والزهو ولا يلتفت الى واجباته التكليفية وبكون موضوعاً لاغواء الشيطان.

ومغالطة نمرود ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ لا تدل على البلادة بل هي من المكر والدهاء والتدليس على الأعوان والأنصار والعتو والكبرياء وتوظيف سلبي لنعمه تعالى الخاصة والعامة، الخاصة بالعقل والصحة، والعامة بأمانة الملك ومسؤولياته الجسام وتحمل وزر الآخرين من اعوانه واتباعه لا اقل بالتسبب ومحاوله حجب الحق عن قلوبهم.



## قوله تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ آية

٢٦٠

## الإعراب

واذ: الواو استئنافية، اذ: ظرف بما ذكر وهو هنا مضاف الى جملة فعلية فعلها ماض لفظاً ومعنى.

رب ارني كيف تحيي الموتى: رب: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، والجملة في محل نصب مقول القول، ارني: فعل طلب وسؤال، وياء المتكلم مفعول به اول، كيف: اسم استفهام حال، تحيي: فعل مضارع وفاعله مستتر، الموتى: مفعول به، وجملة كيف تحيي الموتى في محل نصب مفعول ارني الثاني.

أو لم تؤمن: الهمزة للإستفهام التقريري، الواو: عاطفة.

لم: حرف نفي وقلب وجزم، تؤمن: فعل مضارع مجزوم بلم.  
قال بلى: جملة مستأنفة للإقرار بالتوحيد، بلى: حرف جواب مختص بالنفي ويأتي لإبطاله كما في قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ قالوا

بَلَى ﴿١﴾.

أي انهم اكدوا مجيء النذير بنفي النفي، ولو انهم اجابوا بنعم لكذبوا لأنه يدل على انكار ونفي مجيء النذير والأنبياء. فخذ اربعة من الطير الفاء هي الفصيحة، خذ: فعل أمر الفاعل ضمير مستتر تقديره انت، اربعة: مفعول به، من الطير جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأربعة. ثم ادعهن يأتينك سعياً: ثم: حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، ادعهن: ادع: فعل امر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل انت، الهاء: مفعول به، النون: علامة التانيث لا محل لها، يأتينك: فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم جواب لطلب، النون: فاعل، الكاف: ضمير في محل مفعول به، سعياً: مفعول مطلق.

### في سياق الآيات

بعد محاجة ابراهيم لملك زمانه وبيان قصة امارة الذي مرّ على القرية وما فيها من مضامين التعجب والبرهان القاطع على البعث والنشور، جاءت هذه الآية متعلقة بابراهيم عليه السلام وهو من الرسل الخمسة اولي العزم، وتتعلق هذه الآيات بشواهد عن كيفية البعث واحياء الموتى لطفاً منه تعالى ولتقريب موضوع الإحياء والنشور الى الأذهان.

ان تتابع الآيات في موضوع واحد يدل على أهميته في الحياة اليومية والعبادية للمسلمين خصوصاً وانها جاءت بصيغة تقريب المدركات العقلية بالأمور الحسية، والأمثلة التي يستنتج منها كل انسان الدروس والعبر، فان الله عز وجل جعل الإيمان بسيطاً في

٧٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

متناول كل انسان لا عوائق تحول دون تحصيله.  
فجاءت البراهين الواقعية والأمثلة العملية برهاناً وحجة ودليلاً  
شخصياً يؤكد حصول البعث النوعي العام بغية التنبيه على لزوم  
اخذ الحائطة والتفقه في الدين وعدم الغفلة عن الواجبات والفرائض  
بعد جهاد ابراهيم عليه السلام في الإحتجاج على الملك ودعوته الى التوحيد  
وتحديد في ملكه وتقبيح فعله امام وزرائه وحاشيته جاء الإكرام منه  
تعالى بالإستجابة لسؤال ابراهيم عليه السلام.

وبينما تضمنت الآية السابقة آية الحفظ على الطعام والشراب،  
والإماتة على الإنسان والتلف على الحمار جاءت هذه الآية بخصوص  
الطير ليدل على هذا التعدد والتنوع على واسع قدرته وعظيم سلطانه  
سبحانه فما في البر او البحر او الجولا يتخلف عن الإستجابة لمشيئته.

### اعجاز الآية

تظهر الآية المنزلة العظيمة التي نالها ابراهيم عند الله تعالى  
وامكان السؤال عن كيفية احياء الموتى وتفضله سبحانه بالإجابة  
العملية لتكون مناسبة لزيادة الإيمان والإرتقاء في مراتب التقوى  
والصلاح، كما تبين واسطة الوحي بين الله عز وجل وبين الأنبياء،  
والسؤال عن كيفية الإحياء ويدل بدلالته التضمنية على الإيمان  
والتسليم بحدوثه.

### الآية سلاح

تطرد الاية الشك والوسوسة من النفوس وتردع اهل الزيغ  
وتحول دون اثاره الشبهات في موضوع البعث والمعاد وتمنع من  
تفشيها بين الناس، فهذه الآية سلاح بيد كل مؤمن ومثال  
حي ودليل حاضر على امكان حصول البعث.

## مفهوم الآية

لمسألة احياء الموتى شأن عظيم عند الناس قديماً وحديثاً وتعتبر من اهم المواضيع التي يتولى الانبياء مسؤولية التبليغ والإنذار فيها، ولها عدة جوانب وحيثيات منها:

- ١- التخويف والوعيد.
  - ٢- الوعيد والبشارة.
  - ٣- الإستعداد لليوم الآخر.
  - ٤- جعل البعث حالة قريبة ذهنياً وحساً وواقعياً.
  - ٥- اتخاذ موضوع النشور وسيلة للإصلاح والهداية.
- والبعث بعد الموت حقيقة حتمية ولم يكن الأخبار عنه للإصلاح والتخويف فقط، لذا تفضل سبحانه وجعل كل انسان من بني آدم والى يوم القيامة يبلغه امر البعث والنشور سواء كان مسلماً او كفاًياً او كافراً جاحداً.

فان قلت: ان الناس أعم من بني آدم، لأن عنوان الناس يشمل آدم وعنوان بني آدم لا يشمل.

قلت: ان آدم كان نبياً يؤدي وظائف التبليغ وأسكنه الله عز وجل هو وحواء الجنة وعاشافي بمبوحاتها ورأيا الآيات الباهرات. وهذه آية من آيات الخلق وعالم التكوين ومن مصاديق رأفته تعالى بالناس ولإقامة الحججة عليهم يوم القيامة، فليس لأحد يومئذ ان يعتذر بعدم العلم والنشور والبعث من القبور.

وترى الكافرين في كل زمان يشيرون الشبهات حول البعث وامكان حصوله وهذه الإثارة تدل في مفهومها على وصول امر البعث الى اسماعهم، لأن طرح الشبهة والإشكال يدل على المعرفة بالموضوع ولو على نحو اجمالي وليس تفصيلاً، لقد بلغتهم حتمية

٧٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

وقوع البعث والإعادة للحساب فاجتهدوا في المغالطة والجدل والتشكيك، فجاءت هذه الآيات امثلة حسية حية على وقوعه وعوناً للمؤمنين للثبات على الإيمان وإيجاد الحصانة الكافية من شبهات الجاحدين واهل الضلالة ودعوة للناس جميعاً للإيمان بالبعث واندازاً وبشارة، اندازاً للجاحدين وبشارة للمؤمنين.

والإيمان بالمعاد يطلب بذاته لذا اعتبر من اصول الدين كما يكون مقدمة ووسيلة لأداء الفرائض والواجبات لما ثبت في علم الأصول من وجوب مقدمة الواجب، والعقل يدرك لزوم الإستعداد للقادم من الوقائع، والعقل يستعدون للمناسبات التي تنتظرهم سواء كانت مناسبات فرح أم حزن، ربح أم خسارة، بناء أم خراب، سعة أم ضيق، فيأخذون الإحتياطات الملائمة ويعدون العدة ويدخرون الأموال والأعيان الكافية والمناسبة.

وللأولوية في الموضوع والحكم والماهية فان مسألة النشور والحساب تملي على كل انسان ذكراً او انثى الإستعداد لها واخذ الحيطة والحذر، وهذا الإستعداد لا ينحصر بمدة معينة او بافعال مخصوصة بل تشمل جميع جوانب الحياة وكيفية التصرف فيها وتدخل في وجوه العبادات والمعاملات المختلفة لذا ترى احكام التكليف الخمس الوجوب والإستحباب والإباحة والكراهة والحرمة تتغشى جميع افعال الإنسان، فما من فعل الا ويكون فرداً من احداها.

وفي الآية بيان لإباحة سؤال الأنبياء وتفضله تعالى بالإستجابة وعدم ترك سؤال النبي وتظهر الآية علو مرتبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لم يسئل ربه عن كيفية الخلق بل تلقاها بالتسليم والإنقياد ومن خلفه المسلمون جميعاً وهذا لا يعني النقص او الخلل

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٧٦

بسؤال كيفية احياء الموتى بل انه مبادرة كريمة من ابراهيم عليه السلام انتفع منها الناس جميعاً لما فيها من العبرة والموعظة والدروس المستنبطة وفيها دلالة على عظيم منزلة ابراهيم عليه السلام عن الله عز وجل التي تتجلى بالسؤال والإجابة التفصيلية والبرهان، ولغة الحوار واللفظ الإلهي التي سبقت الإحياء.

وتدعو الآية الى اجتناب الشك والحيرة والتردد وتعاهد السكينة في النفوس والاطمئنان في القلوب، وهي خالية من الأذى بالطيرة والوسواس وظاهرها لا يدل على وجودهما او القرينة الدالة عليهما بل العكس، لأن السؤال جاء عن ايمان محض.

وتبين الآية ان هذه الكيفية في البعث جاءت من باب المثال وليس الحصر، كما انها تتضمن تعدد مراحل الإعادة ونفي شبهة الأكل والمأكول.

لقد جاءت هذه الآية بعد دخول ابراهيم في احتجاج جهادي مع الطاغوت وائمة الكفر، عرض فيه نفسه للقتل والهلاك، مما يعني ان الشك لم يساوره وانه كان على يقين من ربه ينتظر الإياب والرجوع اليه.

فالمحاجة العقائدية ومناسبتها وموضوعها وكيفية اقامة البرهان فيها ودحض مغالطة الملك على رؤوس الأشهاد امور تثبت بلوغ ابراهيم عليه السلام اعلى مراتب اليقين وهو امر يفتخر به المسلم والنصراني واليهودي وكل ينتمي الى ابراهيم ويفتخر بمعجزاته الا ان هذا لا يتعارض مع تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رتبة.

وفي هذا التفضيل دعوة لكل من ينتمي الى ابراهيم في النسب والولاء والعقيدة والمذهب لإتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبوة وسيد الأنبياء الذي رسخ مسألة المعاد والبعث في الأرض الى يوم القيامة واصبح اهل الكفر والضلالة عاجزين عن

٧٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

ازاحة موضوعه عن اقرب الناس اليهم وانشغلوا باثارة الشبهات التي سرعان ما تتبدد امام الحقائق الناصعة والأدلة الدامغة على حصول البعث و احياء الموتى.

وبينما جاءت الآية السابقة بإماتة الذي مرّ على القرية لسؤاله عند مروره على اطلالها<sup>(١)</sup> ﴿أَنْى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فان هذه الآية سؤال من عند ابراهيم يتضمن الإقرار بالبعث ولكن موضوعه انحصر بالكيفية، فاستجاب له ربه وفي الإستجابة اكرام منه تعالى الى عدة اطراف وهي:

- ١- شخص النبي بماله من المنزلة العظيمة عنده سبحانه.
- ٢- النبوة كوعاء للوحي ورتبة عالية ورسالة السماء في الأرض وموضوع كريم للتنزيل والأحكام.
- ٣- نبي الله ابراهيم عليه السلام المنزلة وجهاده واخلاصه العبودية لله تعالى.

والآية شاهد على سعة سلطانه تعالى وان الإماتة لا تنحصر بالإنسان والحيوان بل تشمل الطيور في السماء، وبعثه هذه الحيوانات للشهادة على الإنسان واقامة الحجّة عليه يوم القيامة، ومن فضله واحسانه سبحانه انه يجري الأحياء على الطيور في اثبات قدرته على البعث، وهذا كاف لكل انسان كينة ودليل على بعثه من في القبور ولم يستشكل احد بتباين الموضوع.

كان السؤال عن احياء الموتى وجاء المثال بخصوص الطير، لصدق حصول الموت على الطيور وتعطل الحياة فيها لغة وعقلاً وحكماً و عرفاً وموضوعاً، والقادر على احياء الطير قادر على احياء

---

(١) الأطلال جمع طلل وهو ما شخص من آثار الدار او البناء.

الإنسان لوحة موضوع الإحياء، فالمطلوب في السؤال هو الإحياء ومثاله يتحقق بالإنسان وغيره، بل اجراء المثال على الطير فيه اكرام اضافي للإنسان بأن يجري المثال على جنس آخر، وفيه دلالة على كفاية هذا المثال لمخاطبة العقول ليقى احياء الطير شاهداً على حصول الإحياء للإنسان بعد موته.

ان تعاقب الآيات بخصوص البعث والنشور دليل على موضوعية المعاد في سنن التوحيد ومفاهيم الإيمان، وهو أي التعاقب لطف منه تعالى في توكيد حقائق التكوين بامثلة عملية تصلح للحجة والبرهان، فابراهيم عليه السلام جاهد بنفسه وتحدى الطاغوت في سلطانه فرزقه الله آية تكون وثيقة قرآنية وشرفاً خالداً وعزاً دائماً ووسيلة لإيمان الناس ونفرتهم من دعوات الضلالة والكفر.

انه جزاء دنيوي حاضر وسبب لنيل ابراهيم عليه السلام الحسنات والثواب بافعال الأجيال اللاحقة من المسلمين فابراهيم لم يحتاج الملك وحده بل انه احرز بهذه الآية محاججة الجاحدين وسيظل الى يوم القيامة يشارك المسلمين جهادهم في طرد الشبهات ودفع المغالطات التي تتعلق بالنشور وحتمية الحساب.

## التفسير

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾

بدأت الآية بذكر قول ابراهيم عليه السلام وهو نبي ورسول من الخمسة اولي العزم الذين اختارهم الله على العباد، وتتجلى معاني الاختيار والإصطفاء بذكر قوله في القرآن ثم الإستجابة له، والواو في (واذا) حرف عطف أي ان موضوع القول معطوف على الآية السابقة وقصة الذي مر على القرية فاماته الله.

وقال الزجاج ان عامل (اذا) محذوف وتقديره اذكر اذ قال

ابراهيم.

والأرجح الأول لان العطف له دلالات منها ما يترشح من هذه الآية على الآية السابقة، فيمكن ان يكون العطف اشارة على ان الذي مر على القرية نبي وفيه تصديق للنصوص الواردة بانه نبي الله عزير، وان الأنبياء لهم تأريخ مبارك في القصص والشواهد التي تثبت الإحياء عملياً وكأنهم يتوسلون الى الله تعالى ببيان العبر التي ينتفع منها الناس ويستقرأون منها الدروس التي تساعد في صلاح النفوس وطرو الغفلة عنها.

وهذه القصص والوقائع عون للنبوة وسلاح بيد الأنبياء لهداية الناس وارشادهم الى اصول الدين ومعالم التوحيد، اما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد رزقه الله عز وجل القرآن وهو هدى ورشاد وبذا تتضح المنزلة الرفيعة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودرجة التشريف السامية التي نالها من بين الأنبياء وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم "ما من نبي الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة".

هذا بالإضافة الى انتفاع الأولين والآخرين من القرآن وهو اعجاز ينفرد به القرآن من بين الكتب السماوية لتتخلف القواعد الأصولية عن علوم القرآن، فالأصوليون لا يقولون بالإستصحاب القهقري وهو استصحاب يقين حال وموجود الآن على الزمان السابق، ولكن القرآن وسيلة سماوية مباركة ينال الإنسان السابق في زمانه لنزول القرآن الثواب والأجر كما يناله المصاحب والمتأخر في عالم الدنيا عن أوان التنزيل.

فكل مسلم يتعظ بهذه الآية ويجعل الأنبياء قدوة واسوة له ويدرك

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٨٠

اتصال جبل الايمان ووشائج الأخوة بين المؤمنين على اختلاف الأزمنة وتعدد الشرائع ومع حصول النسخ بينها، ونسخ الشريعة اللاحقة للسابقة فان احكام البعث والمعاد من الثوابت العقائدية الباقية على حالها، يتغير شخص النبي والرسول صاحب الشريعة ولكن احكام المعاد ذاتها لم تتغير وتحافظ على حقوقها باحكام التوحيد وكأنها فرع ثابت منها، مما يدل على حتمية الحساب وموضوعيته في خلق الإنسان وواقعه اليومي، فلا غرابة ان تجد مسائل متحدة، وجاءت في الأنبياء والأمم السالفة ليترتب عليها الأثر في كل زمان وتكون حاضرة في كل ملة وجيل.

وهناك مذاهب تنعت بالكفر والشرك وحينما تبحث في مناهجها وتاريخها تجدها تؤمن بالبعث والنشور، نعم قد تصيب الغفلة افراد تلك الأمم ويعرضون عما في كتبهم ويزداد الإبتعاد عنها مع تقادم السنين والأيام وقلّة الإكتراث بما عندهم من الفكر الديني، فيأتي القرآن ليكون حازماً سماوياً مباركاً دون تفشي الغفلة وانتشار افكار الضلالة ويتعاهد الإشراقات والمعارف الإلهية التي نالها سادة الأمم السالفة من الأنبياء والصالحين، ومنها سؤال ابراهيم عليه السلام الذي جاءت به هذه الآية.

لقد اراد الله عز وجل لإبراهيم العز والفخار بعد جهاده ضد الطواغيت ومفاهيم الشرك والضلالة ليكون اماماً للمؤمنين، ويعرف الناس عظيم الثواب الذي يتنزل على المؤمن عندما يخلص العبادة ويسخر نفسه ولسانه وجوارحه لله عز وجل.

لقد ورد لفظ ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ ست مرات في القرآن اثنتين منها

٨١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

دعائه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾<sup>(١)</sup>، واثنتين في تقبيح عبادة الأوثان، وأحدة منهما خطاب لأبيه أزر والأخرى له ولقومه. والخامسة في محاجة ثمرود، والسادسة هذه الآية بالإضافة الى اقوال اخرى له في التوحيد والجهاد.

والتقسيم الإستقرائي لهذه المرات الست يبين انه جاهد قومه مرتين في عبادتهم الأوثان وذكر له القرآن آيتين في الدعاء للبيت الحرام ومكة المكرمة، ومرة جادل ثمرود في لسانه وبدنه واقام عليه الحجة واسكته فيما يتعلق بالحياة والموت ولزوم نسبتها الى الله عز وجل ويقابلها سؤاله ان يريه سبحانه احياء الموتى مما يدل على انه لم يسأل لنفسه بل لمن حوله ومن بعده من ذريته والمسلمين كافة فلا غرابة ان يصفه القرآن بانه ابو المسلمين ﴿مَلَأْنَاكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

بعد الجهاد اراد ابراهيم الجزاء ليوظفه في منفعة الناس وهدايتهم الى سبل الرشاد وايجاد المقدمات العقائدية المناسبة لبعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمساهمة في ازاحة الغواشي الظلمانية واسباب الجحود والشك.

لقد تفضل سبحانه واذن لإبراهيم بهذا السؤال ليمنحه الذكر الحسن في الملل والأجيال اللاحقة وليجعله اسوة في الجهاد، وفيه درس وموعظة وهو ان الله عز وجل يثيب المؤمن على صبره وجهاده وان الثواب على الجهاد لا ينحصر بالنشأة الآخرة بل يشمل الحياة الدنيا ايضاً، والشرف في الآية يتجلى بذكر قول ابراهيم

(١) سورة البقرة ٢٦٥، ابراهيم ٣٥.

(٢) سورة الحج ٧٨.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٨٢

الكتاب في الكتاب السماوي الجامع والناسخ والذي فيه تبيان كل شيء والإخبار عن الإستجابة لقوله.

ولم يكن قول ابراهيم امراً مجرداً وكلاماً محضاً بل هو سؤال ووعاء ومسألة، ولقد ورد النهي في القرآن عن سؤال ما ليس فيه منفعة ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلْكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، بينما جاءت الإستجابة لسؤال ابراهيم ﷺ مما يعني ان اراءة احياء الموتى امر نافع، وان السؤال لم يخرج عن سنن العبودية وعلم التوحيد. نعم هذا السؤال جاء من احد الرسل الخمسة اولي العزم وهو عنوان اعتباري تشرifi يؤهله لمثل هذا السؤال، والدنيا دار امتحان وبلاء ومن خصائص الإمتحان فيها ان الإنسان يتخذ سبيل العقل كرسول باطني ويتبع النبي كمقل خارجي في عبادته تعالى بالإضافة الى الآيات الباهرات في الآفاق وفي ذات الإنسان واسرار خلقه، فلا تصل النوبة لأن يطلب كل انسان آية تكون شاهداً على وجود واجب الوجود.

ومثل هذا الطلب وقع به بنو اسرائيل فجاءت الآية اعلاه لتنهى المسلمين عن كثرة السؤال وهل كان بمقدور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يسأل مثل سؤال ابراهيم الجواب نعم، ولكن الآية محل البحث اغنت المسلمين واظهرت قدرته تعالى على البعث والنشور، وهي دعوة للإيمان والتصديق.

وكما تساءل النبي الذي مر على القرية عن كيفية احيائها فجاء الجواب القاطع والبرهان الساطع باماتته مائة عام ليبدل بالأولوية على اعادة القرية، فكذا في هذه الآية فان ابراهيم سأل عن كيفية احياء الموتى وبعث الحياة فيهم من جديد افراداً وجماعات، فجاءت

(١) سورة المائدة ١٠١.

٨٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
الآية بخصوص الطيور واحكامها، والطير اقل خلقة وشأناً وتركيباً  
من الإنسان الا انه يصدق على موضوعه احياء بعد اماتة، وفي تعلق  
المثال الإلهي بالطير مع ان السؤال منصرف الى الإنسان آية اكرام  
اضافي للإنسان، أي انه تعالى اكرم الانسان بان لم يجعله مثلاً.  
وهو عنوان اكرام اضافي للإنسان ان لا يبعث في الحياة الدنيا وان  
التشبيه يجري على غيره بما يفيد المطلوب وتحصيل الغايات وحسن  
الجواب على السؤال.

وفي الآية السابقة لم يذكر اسم الذي مر على القرية وتعددت  
الأقوال فيه اما في هذه الآية فجاء الإسم صريحاً.

وقال الرازي: (انه تعالى لم يسم عزيراً قال ﴿أَوَكَلِّذِي مَرَّ  
عَلَى قَرْيَةٍ﴾ وسمي ههنا ابراهيم مع ان المقصود من البحث في  
كلتا القصتين شيء واحد، والسبب ان عزيراً لم يحفظ الأدب، بل  
قال ﴿أَنْتَى يُحِبُّ هَذِهِ اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وابراهيم حفظ الأدب فانه  
اثنى على الله اولاً بقوله (رب) ثم دعا حيث قال (ارني) وايضاً ان  
ابراهيم لما راعى الأدب جعل الإحياء والإماتة في الطيور، وعزيراً لما  
لم يراع الأدب جعل الإحياء والإماتة في نفسه<sup>(١)</sup>.

ولكن مقتضى قواعد المقارنة في باب النبوة تنزيه الطرفين  
بالقراءة وفق قواعد وسنن النبوة والإقتداء بهداهم، فالآية السابقة  
ابهمت الإسم وهنا اظهرته وفي كل منهما أي الإبهام والإظهار  
اسرار ودلالات تلتقي في توكيد اعجاز القرآن.

والإبهام لا يضر في بيان الموضوع خصوصاً وانه مطلوب بذاته،  
وهو باب للبحث والتحقيق والتأويل والوصول الى شخص المار من

(١) مفاتيح الغيب ٣٦/٧.

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٨٤

خلال النصوص والقرائن الحالية والمقالية الموجودة في الآية الكريمة واستحضار الآيات الأخرى وفق قرائن تفسير القرآن بالقرآن. وينفي ظاهر الآية كون المار على القرية كافراً، وهذه الآية وذكر اسم ابراهيم فيها قرينة قرآنية على ان المار على القرية احد الأنبياء باعتبار ان الآيات العظيمة هبة خاصة للأنبياء وزيادة في شرفهم ودعوة للناس لأتباعهم وثواب عاجل على جهادهم وتحملهم العناء والمشاق في سبيله تعالى.

وعلى القول بعصمة الأنبياء وهو المشهور بين المسلمين والذي يقول به الرازي ايضاً لا بد من تأويل سؤال المار على القرية بما لا يتنافى مع الأدب عند الشك والتردد والإحياء والإماتة عن نفس عزيز كانت نعمة عظيمة عليه وآية انفرد بها، مما يدل على اكرام خاص له وباب للثواب والجهاد في امة وجيل غير الجيل الذي ولد فيه.

لقد ورد "اذ قال ابراهيم" في القرآن ست مرات وورد "اذ قال موسى" تسع مرات، وورد مرة واحدة لكل من يوسف وعيسى عليهما السلام ولقمان، وهذا التعدد يبين عظيم قدر ابراهيم عليه السلام وكثرة دعائه وسؤاله، وقد مدحه الله في القرآن بقوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾<sup>(١)</sup>، والأواه: الدعاء.

لقد بدأ الخطاب في الآية بلفظ "رب" وهو من امهات الأسماء المقدسة مما يدل على غاية الأدب والإنبعاث من مقام العبودية والذل.

لقد كان كل من الإماتة والإحياء مناسبة لنجاته وحرزاً لسلامته من العداوة والانتقام والإفتتان، فالإماتة تغييب عن الأعداء وكف

---

(١) سورة هود ٧٥.

٨٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

لأذاهم عنه، والإحياء الإعجازي حاجب نوراني ومانع سماوي دون وصول اذى الناس له مما يمكنه من نشر احكام الإسلام، وفعلاً فقد استطاع اعادة كتابة التوراة وتصديق الناس به لظهور الآية في ذاته وبدنه وشخصه وزمانه.

ومن بين مقدمات هذه الإستطاعة كف الناس ايديهم عنه وامنه من بطشهم وغيلتهم وقد اشتهر في تلك الأزمنة الجرأة على الأنبياء والتعدي عليهم والوشاية بهم عند السلطان قال تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، وبينما نجى ابراهيم من طاغوت زمانه بعد الإحتجاج بآية منه تعالى فانه سبحانه اختار لعزير الإماتة ثم الإحياء، ليأتي رسولا لقومه بخصال تكوينية تملي على الجميع اكرامه وتقديسه وتقذف في نفوس السلاطين والملأ الرعب منه وتجعل الجميع يذعنون لما يأتي به وكأنه برزخ بين الملك والإنسان.

ولقد ورد عن ابراهيم عليه السلام في التنزيل ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾<sup>(٢)</sup>، وحمل تأويله على اقامة الحججة على قومه وبيان ضلالتهم، فكذا بالنسبة للآية السابقة على القول بان عزيراً هو الذي مر على القرية وهو الأرجح فلا بد من تأويلها واراد اقامة الحججة على قومه وتطلع الى رحمة تعالى في تعجيل البعث او في اراءة قومه آيات تكون عوناً لهم على الإيمان والتصديق بنبوته.

لقد طلب المدد الإلهي بالآية الحاضرة وهي احياء هذه القرية او

(١) سورة البقرة ٩١.

(٢) سورة الأنعام ٧٧.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٨٦

انه كان قد اخبر بحصول احياء في تلك القرية فسأل عن اوانه ووقته وهو لم يعلم ان الإحياء انما يتعلق بشخصه اثناء مروره على تلك القرية، كما في قصة ملك الموت مع نبي الله ادريس عليه السلام وقد ورد في حديث الإسراء " ان ادريس كان له خليل من الملائكة فسأله ادريس ان يكلم ملك الموت ليؤخر قبض روحه فحمله الملك بين جناحيه وصعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة فاذا ملك الموت يقول: بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الأرض، فالتفت ادريس فرآه ملك الموت فقبض روحه هناك".

فكذلك عزيز كان يظن حصول الأحياء في تلك القرية لأنها اصبحت كالميتة باطلالها وتهاوي مساكنها واضمحلال معالمها فجاء الإحياء في ذات الموضوع لتكون الآية اعم مكاناً وزماناً والنفع يتعدى الحس والنظر فيشمل الحواس الأخرى الى جانب اشتراك العقل بتوظيف تلك النعمة.

ان هذه الآية والآية السابقة مجتمعتين ومتفرقتين بيان لعظمة قدرته وبديع صنعه تعالى وان سلطانه يتجلى بتعدد وتباين الآيات في موضوع واحد وهذا التعدد والتباين دعوة للإيمان ومناسبة لتلقي دروس الحكمة من بين ثنايا آيات القرآن المباركة.

وعن محمد بن اسحاق ان سبب السؤال ما جاء في مناظرة ابراهيم عليه السلام مع نمرود وقوله ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ وقيام نمرود باطلاق محبوس وقتل آخر، وانكر ابراهيم ان يكون هذا احياء واماته وتحدها بآية اخرى، عندئذ سأل ابراهيم عليه السلام ربه ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ لتكشف

٨٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

هذه المسألة عند نمروذ واتباعه.

ولكن قصة ابراهيم مع نمروذ وقومه تحكي اصرارهم على قتله وقيامهم بجمع الحطب لخرقه واشعلوا النار فيه لإرادة قتله لولا ان انجاه الله عز وجل بآية منه، لقد كان خروج ابراهيم عليه السلام من النار سالماً آية اخرى لنمروذ وقومه.

وظاهر الإحياء انه آية خاصة بابراهيم الذين يتبعونه على الهدى والإيمان.

لقد كان ابراهيم في احتجاجه مع نمروذ واثقاً من امره لم يخامره الشك، لذا فالسؤال هنا جاء عن ايمان واطمئنان لعظيم قدرته تعالى على احياء الموتى.

وليس في الآية ما يدل على حصول السؤال قبل الإحتجاج او بعده الا بلحاظ الترتيب القرآني للآيات وانها جاءت متعقبة لآية المحاججة، والأرجح ان السؤال جاء بعد الإحتجاج، وسواء كان قبله او بعده فانه آية مستقلة بذاتها بين العبد وربّه، وتلك الآية بين النبي ونمروذ، لبيان وظيفة المؤمن وجمعه بين لغة السؤال والدعاء والتضرع الى الله وبين الجهاد ومنع الظلم وسيادة مفاهيم الكفر والجحود.

الأول: ما روي عن الحسن البصري وقتادة والضحاك وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "ان ابراهيم رأى جيفة مطروحة تمزقها السباع، فيأكل منها سباع البر، وسباع الهواء، ودواب البحر، فسأل الله إبراهيم فقال : يا رب قد علمت أنك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر، فأرني كيف تحييها لأعائن ذلك"<sup>(١)</sup>.

---

(١) مجمع البيان ١/٣٧٢.

الثاني: ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي: "أن الملك بشر إبراهيم عليه السلام بأن الله قد اتخذ خليلاً، وأنه يجيب دعوته، ويحيي الموتى بدعائه، فسأل الله تعالى أن يفعل ذلك ليطمئن قلبه، بأنه قد أجاب دعوته، واتخذ خليلاً".

الثالث: إن سبب السؤال منازعة ثمود إياه في الإحياء، إذ قال: ( أنا أحيي وأميت ) وأطلق محبوساً، وقتل إنساناً. فقال إبراهيم: ليس هذا بإحياء. وقال: يا رب أرني كيف يحيي الموتى، ليعلم ثمود ذلك. وروي أن ثمود توعد بالقتل إن لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده، فلذلك قال ( ليطمئن قلبي ) أي: بأن لا يقتلني الجبار" (١).

وهذه آية في الخلق ودرس فيما بعد الموت ومغادرة الروح للجسد، ولكن ذكره كسبب للسؤال محتاج الى دليل من كتاب او سنة.

وذكر ان ابراهيم سأل الله تعالى ذلك امثالاً لسؤال قومه كما في سؤال بني اسرائيل لموسى ﴿ أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً ﴾ (٢) فاراد ابراهيم ايمان قومه بمشاهدة الآيات ولتكون حجة عليهم ويرسخ الإيمان في قلوبهم، أي ان الآية لم تكن شخصية بل كانت له ولقومه وانهم رأوا احياء الطير ولا مانع من هذا الإحتمال ولكن لا دلالة عليه حسب ظاهر الآية، والآية السابقة كانت شخصية حصلت لعزير وحده في آية جمعت معه طعامه وشرابه وحماره ولكنه كان آية ظاهرة للناس جميعاً، اما هذه الآية واعادة خلق الطير فانه يحتمل وجوهاً:

١- انها آية شخصية لإبراهيم عليه السلام.

(١) مجمع البيان ٣٧٢/١.

(٢) سورة النساء ١٥٣.

٨٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

- ٢- انها له ولنفر من المؤمنين كانوا حاضرين الآية.
  - ٣- انها نوع تحد وشاهدها جمع من الكافرين ايضاً.
  - ٤- انها له ولذريته وللمسلمين من بعده.
- ظاهر الآية انها لإبراهيم خاصة لأنها جاءت عن سؤاله هو نفسه وجاء الرد الإبتدائي منه تعالى ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنُ﴾ ولكن عمومات نزول الآية قرينة على الإنصراف عن هذا الظاهر وهذا الظاهر معارض بظاهر مطلق الآيات وانها تأتي للنفع العام ولحصول الآيات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه وبين المسلمين لتكون شواهد يراها الناس كانشقاق القمر وانين الجذع.
- فالأقوى ان هذه الآية حدثت لإبراهيم عليه السلام مع رؤية جماعة من الناس لهذه الآية.

وقال الرازي: (ما خطر ببالي فقلت: لا شك ان الأمة كما يحتاجون في العلم بان الرسول صادق في ادعاء الرسالة الى معجز يظهر على يده فكذلك الرسول عند وصول الملك اليه واخباره اياه بان بعثه رسولاً يحتاج الى معجز يظهر على يد ذلك الملك ليعلم الرسول ان ذلك الواصل ملك كريم لا شيطان رجيم وكذا اذا سمع الملك كلام الله احتاج الى معجز يدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى لا كلام غيره، واذا كان كذلك فلا يبعد ان يقال: انه لما جاء الملك الى ابراهيم واخبره بان الله تعالى بعثك رسولاً الى الخلق طلب المعجز فقال: ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى﴾ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَكِنِ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي ﴿على ان الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم﴾<sup>(١)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب ٣٧/٧.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٩٠

ولكن هذا الإحتمال بعيد والآية اعم واشمل موضوعاً واطهر دلالة على ان الخطاب بين الله عز وجل و ابراهيم وهو من مصاديق النبوة وانه لا اختبار بين الملك والنبى، والمعجز لم يأت لشخص النبى بل يأتى للأمة من خلاله، ثم ان الله عز وجل يتفضل على النبى ويجعله يعلم ان الذى يأتىه ملك وليس شيطاناً او غيره، وتلك من مقدمات النبوة ومراحلها الأولى ولا شك اثناءها بل تأتى الآيات تترى وتتصل صيغ الوحي حتى يدرك النبى ان الذى يأتىه ملك من عنده تعالى.

لقد رأى ابراهيم في المنام انه يذبح ولده فهمّ بذبحة من غير تردد او ريب، كما ان ابنه اعتبره امرأً واجباً كما في التنزيل ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾<sup>(١)</sup>، ومجىء الملك مرتبة اعلى من رتبة الرؤية في باب النبوة.

وحتى على فرض طلب العجز فلا صلة له بنوع الملك الذى يأتىه وانه ليس شيطاناً رجيماً حتى على القول بتوسط الملك في آية الإحياء على نحو ظاهر ومحسوس، ومن آيات النبوة ان الله عز وجل يجعل نفس النبى تطمئن تماماً الى ان الذى يأتىه وحي من عنده تعالى، وان الشيطان لا يستطيع النفاذ له جملة وتفصيلاً، وهو من مقدمات نزول الآيات وتلقي الأوامر الإلهية والأحكام.

وذكر على لسان اهل التصوف: ان المراد من الموتى القلوب المحجوبة عن انوار الكاشفات والتجلي، وانه طلب لذلك التجلي والمكاشفات<sup>(٢)</sup> وهذا القول مناف للآيات موضوعاً وحكماً، كما ان الكلام يحمل على الظاهر والواقع المحسوس وان كان من المدركات العقلية.

(١) سورة الصافات ١٠٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٣٩/٧.

٩١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

ويجب ان لا يكون التأويل والتفسير سبباً للإنتقاص من الآيات وما يؤدي الى الإنتفاع الأعم والأوسع منها.  
ولا صلة واقعية بين ذبح الطيور وتوزيعها على الجبال وبين مسألة القلوب المحجوبة عن الكشف، بل ان الآية خطاباً ايمانياً لجميع الناس على اختلاف مداركهم وتباين طبقاتهم وتعدد مذاهبهم انها آية حسية قاهرة ويكون حملها على ظاهرها جزء من الإقرار والتسليم بها.

ومما يفتخر به المسلمون على غيرهم انهم يتلقون الآيات المذكورة في القرآن بالتصديق لأن العلم بها يصبح ضرورياً ومن البديهيات باعتبار انها من التنزيل، واذا ذكرت تأويلات قلبية تؤثر سلباً على الغايات السامية من الآية وموضوعها فلا بد من التعليق عليها وابطالها والمنع من جعلها التأويل الوحيد للآية.

وقريب من هذا الوجه ما ذكره الرازي قال: نظر ابراهيم صلى الله عليه وسلم في قلبه فرآه ميتاً يجب ولده فاستحيى من الله وقال: ارني كيف تحيي الموتى، أي القلب اذا مات بسبب الغفلة كيف يكون احياؤه بذكر الله تعالى<sup>(١)</sup>، وهذا ابعد.

لقد اظهر ابراهيم الرضا والقبول بالأمر بالذبح وباشره من غير تردد او شك ﴿يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخَافُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَبْحُكَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ﴾<sup>(٣)</sup>، فهو لم يشك بان الأمر الأول من عنده تعالى مع انه جاء بصورة الرؤيا،

(١) مفاتيح الغيب ٣٩/٧.

(٢) سورة الصافات ١٠٣.

(٣) سورة الصافات ١٠٣-١٠٤.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٩٢

ورؤيا الأنبياء وحي، اما العفو ورفع الأمر فجاء بواسطة النداء الإلهي مما يدل على ارتقاء في مراتب النبوة ناله ابراهيم عليه السلام بسبب حسن الإمتثال.

لقد امر الله عز وجل بالدعاء والسؤال قال ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، والأمر بالدعاء ينبسط على الجنس البشري مطلقاً أي قبل نزول القرآن وبعده، وسؤال ابراهيم عليه السلام لم يخرج من عمومات الدعاء وادب العبودية، لقد اراد ابراهيم عليه السلام استثمار الخلة والقرب من رحمته تعالى فسأل ما يكون باباً لهداية الناس الى دروب الإيمان، وجعل الإذن بالدعاء مقدمة لإزالة الإنكار من قلوب الناس وطرد الجحود عن النفوس.

لقد اظهر ابراهيم عليه السلام في سؤاله التسليم بقدرته تعالى على احياء الموتى لأنه لم يسأل عن ذات الإحياء بل عن الكيفية والهيئة التي تعني بالدلالة التضمنية الإقرار بعظيم سلطانه وقدرته سبحانه بالإضافة الى قرينة جداله مع الملك وحصر الإحياء به تعالى كما ورد في التنزيل ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

لقد اختار ابراهيم عليه السلام وهذا السؤال رحمة بالناس ورأفة بهم لأنه من اهم السبل المحسوسة للإيمان اختار سؤال المعجزة ليؤمن الناس بالبرهان الإنبي وهو الإستدلال من المعلول الى العلة وان الإحياء دلالة على واجب الوجود ولزوم عبادته، فالبحث في هذه الآية يجب ان لا ينحصر بذات السؤال بل باسبابه وغاياته.

لقد طلب ابراهيم عليه السلام العون منه تعالى على هداية وارشاد

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) سورة البقرة ٢٥٨.

٩٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

الناس برؤيتهم المعجزات الحسية وحياء الموتى، واختار هذه الآية لما فيها من بعث الخوف منه تعالى وتثبيت المعاد في اذهانهم ولاتصالها بآية تحدي ثمود.

فعند شيوع مفاهيم الكفر ينحسر الإهتمام بالمعاد وتسود الغفلة عن الحساب ويميل الناس الى التعدي ويتركون العبادة لإنعدام خصلة الخوف في النفوس وغياب الرادع الأخلاقي عن السيئات وضعف الواعز الداخلي الذي يندب الى الصالحات، ويغيب عنصر الرجاء والأمل في الثواب ولا يبقى له اثر على اعمال بني آدم فجاء سؤال ابراهيم لإرجاعهم الى الإيمان بواسطة دعوتهم العملية الى الإقرار بالمعاد بالشاهد الحسي وكأن سبل الهداية برؤية آية الإحياء فاراد ابراهيم حمل الناس على الإسلام ومساعدتهم على تلقي مبادئ الإيمان بالإعجاز في باب الإماتة والإحياء للتبصرة في الخلق والتكوين.

فالأولوية في تحقيق مدلولات هذه الآية تتعلق باهل زمانه وحاجتهم لهذه الآية وموضوع الآية شيوع الكفر في زمانه بدليل مناظرته مع ثمود، وليس قول ابراهيم ذاته واسبابه الشخصية، انه سؤال يعكس حال الناس والنبوة في ذلك الزمان ويبين اعلان الرسول الحاجة الى المدد الإلهي بالبرهان القاطع الذي يعيد الناس الى اصول الدين.

لقد ادرك ابراهيم ان المناظرة مع ثمود وهزيمته وتركه مشدوهاً أمام وزرائه وقواده والملا من قومه لم تؤثر في الناس وتدفعهم الى الإيمان بل اصرروا على الكفر والجحود وآزروا ثمود في جمع الخطب لحرق ابراهيم عليه السلام كما ان نجاته من النار التي تعتبر آية اخرى ظاهرة للعيان لم تجعلهم ينقلبون ويتجهون جماعات وافرادا الى الإسلام

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٩٤

والإيمان بما جاء به ابراهيم عليه السلام بل طلبوا منه مغادرة بلادهم، فاضطر الى الإلتجاء له تعالى لطلب المدد والعون بان يريهم آية حسية تتعلق بابدانهم وانفسهم وتقذف الخوف والرجاء في نفوسهم وهما امران ضروريان لقوام افعال الإنسان وصبغتها بصبغة الهداية والرشاد.

وانت ترى القائد في جبهة القتال عندما يشرف على الهزيمة او ان النصر يتأخر عليه يطلب المدد من الملك ليعث له الجنود والعتاد. ولكن لماذا قال ابراهيم (ارني) ولم يقل ارهم، او أر هؤلاء الكفار كيف تحيي الموتى، الجواب ان الكفار لا يستحقون الآيات وقد اقاموا الحجة على انفسهم باعراضهم عن النبوة وآياتها، انما تأتي الآيات مع الإستعداد للقبول فاراد ابراهيم ان ينتفعوا من وجوده بين ظهرانيهم ويستفيد من جهاده في سبيل الله واطهاره اليقين بقدرته تعالى واستثمار عظيم منزلته عنده تعالى لتكون مجتمعة ومتفرقة اسباباً لنزول آية الإحياء فينتفع منها الناس، وهذا من فلسفة النبوة واخلاق الأنبياء مع امهم بان يكون النبي والنبوة اسباباً مباركة لهداية الناس الى الرشاد.

ان ذكر اسم ابراهيم عليه السلام في الآية نوع تأديب للمؤمنين وللناس جميعاً باعتبار ان ابراهيم حاز مرتبة في الإيمان والجهاد والنبوة أهله لهذا السؤال ولا يحق لكل انسان مثل هذا السؤال، نعم الكرامة التي نالها ابراهيم عليه السلام ينتفع منها الناس جميعاً وحالات الأنبياء مع مقام الربوبية فيض سماوي يتغشى الأجيال.

ولم يسأل ابراهيم احياء ميت كمثال، بل سأل بصيغة الجمع لعلمه بان الله واسع كريم وانه يعطي بالأوفى والأتم ولعله يطمع بان يرى معالم يوم الحشر والنشور، وجاء الجواب بصورة الجمع ايضاً فضلاً منه تعالى ولكنه متعلق بالطيور.

قوله تعالى ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَال بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ﴾

يتجلى الإكرام الإلهي لإبراهيم بالجواب على سؤاله وعدم الإكتفاء بسماعه، ولغة الحوار هذه بين العبد والمعبود، والمخلوق والخالق، تدل على انعدام البعد بينهما فليس ثمة مسافة وهو قريب سبحانه، وان التباين بين الممكن والواجب لا ينفي القرب والوصل، ان هذا الجواب وحده عنوان عز وفخر وشاهد على الربوبية والقدرة الإلهية كما يدل في دلالاته الإلتزامية على احتمال الإستجابة بل رجحانها وان هذا السؤال مقدمة مشروطة لها، لقد كان ابراهيم يؤمن بقدرته تعالى على احياء الموتى، فموضوع الإيمان في الآية يحتمل وجوها:

- ١- الإيمان بانه تعالى يحيي الموتى.
- ٢- اعادة نشر المؤمنين والكافرين واثابة المؤمنين ومعاقبة الكافرين.
- ٣- ان احياء الموتى في الحياة الدنيا غير ممتنع ذاتاً.
- ٤- عدم الإيمان باستجابته تعالى لمسألته ودعائه.
- ٥- عدم الإيمان بالخلقة وان ابراهيم هو خليل الله.
- ٦- عدم الإيمان باقامة الحجّة الحسية على الإحياء واراءة الملأ كفيته.
- ٧- عدم الإيمان باعائه بالآيات الحسية والدلالات الظاهرة لإيمان الناس.
- ٨- قدرته تعالى على اصلاح النفوس وتقليب القلوب وجعل الناس يميلون الى الإيمان بالآيات الخاصة أو مطلقاً.

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ٩٦

ولا تعارض بين هذه الوجوه بعد الإقرار بقدرته تعالى على احياء الموتى بدليل ورود الحرف (بلى) لتثبيت ايمان ابراهيم ونفي الإنكار عنه، فاي كان موضوع الإيمان الوارد في السؤال فان الجواب بلى يفيد نفي النفي وارادة الإيجاب أي نفي عدم الإيمان واثبات الإيمان بانه تعالى يحيي الموتى وانه يثيب المؤمنين ويعاقب الكافرين، ويستجيب لدعائه، ان ذكر اسم ابراهيم في الآية ينفي أي وجه من وجوه الإنكار او الشك في الآية الكريمة.

لقد اظهر الجواب عناية الهية خاصة بابراهيم وفي هذا الجواب لطف الهي وتأديب للخليل واصلاح لنفسه لتلقي الإستجابة واخبار عن ارتفاع الحجب بين الله عز وجل وبين انبيائه وانتفاع الناس كافة من هذه النعمة، أي انها نعمة شخصية لها ابعاد وتأثير عام.

ان هذا الجواب يفيد بلوغ ابراهيم عليه السلام اعلى مراتب الإيمان وكمال الإخلاص له تعالى ويعتبر الحوار والسؤال والجواب بين الباري وبين العبد في الحياة الدنيا قاعدة كلية تدل على امور:  
الأول: الهوية الإيمانية للسائل.

الثاني: رضاه تعالى على السؤال والسائل.

الثالث: ان السائل نبي من الأنبياء الا ان يكون هناك دليل بان السائل من الصالحين ولم يبلغ مرتبة النبوة.

لقد سأل ابراهيم عليه السلام اعجازاً من عالم الأمر ليكون شاخصاً كريماً وسط مفردات عالم الخلق، يبعث الرعب والفرع في قلوب الكافرين ويرسخ الإيمان في قلوب المسلمين.

ان انتشار مضامين الكفر في بعض الأزمنة يجعل الأنبياء يلجأون الى الله عز وجل ويرجون اغاثته ونصرته على القوم الكافرين وهناك شواهد كثيرة في القرآن وفي التنزيل وقال نوح عليه السلام ﴿رَبِّ اِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾

٩٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

(١) ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٢).

وفي التجاء ابراهيم اليه تعالى مستغيثاً طالباً آية تكوينية اعجازية فجاء الجواب الإلهي ﴿ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ ﴾ بصيغة السؤال، وتعقبه جواب ابراهيم لنفي الريب والأقاويل عن ابراهيم عليه السلام ولتهيئة الأذهان للإستجابة الكريمة وتلقيها باطمئنان اذ ان الجواب نوع سكيئة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

فهذه الآية تؤكد لمعرفة ابراهيم عليه السلام لنفسه وقدرته تعالى وهي دعوة للناس ليعرفوا مرتبة اليقين التي نالها ابراهيم عليه السلام. وفي العيون عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: "ان الله تعالى اوحى إلى إبراهيم انى متخذ من عبادي خليلاً ان سألتني احياء الموتى أجبتة فوق في نفس إبراهيم انه ذلك الخليل فقال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم. فأخذ ابراهيم نسراً وبطاً وطاووساً وديكاً فقطعهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله وكانت عشرة منهن جزء وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حبا وماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه فخلى إبراهيم عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن

---

(١) سورة نوح ٢١.

(٢) سورة نوح ٢٦.

من ذلك الحب وقلن يا نبي الله أحييتنا أحياءك الله فقال ابراهيم بل الله يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾

بعد الإقرار واعلان التسليم بعظيم قدرته تعالى والسفر من الخلق الى الحق، جاءت مرحلة الإستجابة الفعلية ونزول الفضل من الحق الى الخلق.

لقد امر الله ابراهيم باخذ اربعة من الطير وجاء التقييد بالعدد من غير ذكر نوع الطير، وهل الطيور من نوع واحد او من انواع واصناف مختلفة، وهل هي من الذكور ام الإناث ام لا اعتبار للجنس هنا لأن الآية تتعلق بالإحياء وهي عامة للذكور والإناث، ولا يلتفت الناس احياناً في باب الطيور الى جنس الذكر او الأنثى، الاقوى هو الأخير لقاعدة نفي الحرج وللتخفيف عن ابراهيم في جميع الطيور، ولصدق الاسم على الذكر والانثى، وفي نوع الطيور التي اخذها ابراهيم اقوال:

١- اخذ طاووساً ونسراً وغباباً وديكاً، عن ابن عباس.

٢- اخذ حمامة بدل نسر، عن مجاهد.

٣- اخذ الطاووس والديك والحمامة والغراب، عن الإمام

الصادق عليه السلام، وفي رواية عنه بدل الغراب الهدهد.

لقد سأل ابراهيم اعادة الأموات الى الحياة ولو للحظة واحدة وبيان مراحل هذا الإحياء بعد تلاشي اجزاء الميت واستحالة صورته النوعية واختلاط اعضائه مع التراب والمكونات الأخرى واطهار القدرة الإلهية ليعتبر الناس ويرجعوا الى سبيل الرشاد فجاء الجواب

(١) تفسير الصافي - الفيض الكاشاني ٢٩٣/١.

٩٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

متعلقاً بعالم الطيور والحيوانات من غير ان يضر بأصل المطلب.  
وهذه مسألة اعجازية اخرى فالثابت هو احياء الموتى من الناس،  
فاخبرت الآية عن قدرته المطلقة سبحانه وشمول مسألة الإحياء  
للطيور ايضاً رافة بالناس الإحياء منهم والأموات، وعدم ايدائهم  
بالنشور وما فيه من تجدد الخوف من الحساب والعقاب.

وفيه دلالة سماوية بان الإنسان ليس محلاً للتجارب والاختبارات  
ومن نواميس عالم البرزخ عدم الإعادة للحياة الدنيا، وان الله عز  
وجل واسع كريم يتفضل باستجابة الدعاء انى يشاء وحيث يشاء  
مع تحقق المشاهدة والعيان وادراك قدرته الأزلية.

لقد اختار الله عز وجل لإبراهيم الطيور لأنها مسخرة للإنسان  
وخدمته فشرف الله عز وجل هذه الأفراد والأصناف من الطيور بان  
جعلها موضعاً لآية البعث، وجاء اختلاف صنف الطيور الأربعة لبيان  
قدرته تعالى وللتيسير على العباد في الإدراك والإرتقاء في المعرفة  
الإلهية.

واختيار الطير للتعدد والكثرة وسهولة التقطيع ولسرعة انتقاله  
وطيرانه وهبوطه من الشجر.

واصل الصر: الجمع والشد، ومنه صرة الدراهم وهي الوعاء  
الذي تحفظ فيه، ويقال اصرت الصرة أي شددتها، والصر الحبس  
والمنع، وكل شيء جمعته فقد صررته.

لقد امر الله عز وجل ابراهيم بجميع الطيور اليه ليألف حضورهن  
ويتعرف على الوانهن واوصافهن الخاصة وما بهن من شية او علامة  
تميز كل فرد منها عن باقي افراد صنفه.

وعلى فرض عموم الآية ورؤيتها من قبل الآخرين وهو الأرجح  
فان الناس سيتعرفون على تلك الطيور وعلى نحو الخصوص وصفاً

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٠٠

ولتأنس تلك الطيور بالقرب من مشكاة النبوة وتسمع الدعاء والصلاة والنسك لتكون مؤهلة للبعث والنشور بعد الذبح، وفيه دلالة على عدم التعجل بالآية بل انها حصلت بعد التثبيت من افرادها للمنع من طرو الشك والريب.

ويمكن حصول الآية والإكتفاء باخذ الطيور من غير ان يصرهن ابراهيم عليه السلام، فلا بد ان في حبس الطيور وجمعهن اليه من دلالات وان البعث في الحياة الدنيا انما يجري على الطيور والحيوانات على نحو الخصوص وان الذي مات من الناس قد التجأ اليه تعالى ومنعه سبحانه فلا يحصل البعث له في عالم البرزخ وقبل قيام الساعة الا ان يأذن سبحانه، والآية تحصل بالأدنى وهو الطير، وهي مجزية عند كل عاقل مع تضمنها لاکرام الانسان وهو في عالم البرزخ.

وعن ابن عباس والحسن ومجاهد ومعنى صرهن اليك: قطعهن، وعلى فرض ثبوت هذا المعنى فيكون في الآيه اضمار والتقدير اجمعهن اليك فقطعهن، فحذف القطع من الآيه لدلالة اول الكلام وآخره عليه.

وبينما قرأ القراء صرهن بضم الصاد، قرأ حمزة (فصرهن اليك) بكسر الصاد، وقال الأخفش معناها: قطعهن وبه ورد الخبر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقال الفراء: اظن ان ذلك مقلوب من صرى يصري اذا قطع ياؤها ولكنه بعيد، والأصل في الكلام حمله على ظاهره.

ومن منافع الابتداء بجمعهن اليه ان الإنسان يفرح بعودة الطيور اليه بعد ذبحها ورجوعها الى ملكه بعد تلفها، ويرأف بها، وكذا بالنسبة للعباد فانهم بعد البعثة يعودون الى ملكه تعالى وهم في حال الحياة ولا يرجون الا رحمته وعفوه وهو باب من ابواب رأفته

ورحمته تعالى.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ﴾

بعد الجمع جاء التقطيع ثم جاء توزيع أعضاء الطيور على الجبال على نحو الخلط والتداخل، وفي الجبال وعددها اقوال:

١- انها جبال الدنيا، وبه قال مجاهد والضحاك لإصالة العموم بحسب الإمكان، أي وزع أعضاء الحيوانات على عدد من الجبال بحسب امكانك وقدرتك.

٢- الجبال اربعة بلحاظ عدد الجهات الأربعة وعدد الجبال، وهو المروي عن ابن عباس والحسن وقتادة.

٣- انها سبعة من الجبال لأن ابراهيم كان يشاهد سبعة جبال، فتسمع الطيور دعاءه من الجبال السبعة.

٤- عدد الجبال عشرة، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "فاخذ ابراهيم عليه السلام الطاووس والديك والحمام والغراب فقال الله عز جل: فصرهن اليك أي قطعهن ثم اخلط لحمهن وفرقهن على عشرة جبال، ثم خذ مناقيرهن وادعهن يأتينك سعيًا ففعل ابراهيم ذلك وفرقهن على عشرة جبال، ثم دعاهن فقال: اجبني باذن الله فكانت تجتمع وتتألف لحم كل واحد وعظمه الي رأسه، فطارت الي ابراهيم عليه السلام فعند ذلك قال ابراهيم: ﴿ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾".

والأخبار واجماع علماء التفسير على ان ابراهيم قطع الطيور الأربعة ووزع اعضاءها على الجبال وخالف ابو مسلم فانكر التقطيع وقال بان المراد من صرهن اليك الإمالة والتمرين على الإجابة، فاذا

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٠٢

اعتادت الطيور العودة وعرفت كيفية الإستجابة والمبادرة اليها حينما تدعوها حيثئذ اجعل على كل جبل طائراً منها وهو حي، ثم ادعهن يأتينك سعياً للدلالة على عودة الأرواح الى الأجساد ويسر وسهولة واحتج بالمعنى اللغوي لصرهن، وبعائدية حرف الجر (الى)، ويجاب بوجوه:

- ١- حجية الإخبار.
  - ٢- ظهور الإجماع على حصول الذبح، وابو مسلم من رجال القرن الثالث الهجري.
  - ٣- وجود حذف واضمار في الآية وهو من اقسام البلاغة خصوصاً مع ظهور المعنى كما في قوله تعالى ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى ﴿ أَنْ أُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْقَلَقَ ﴾<sup>(٢)</sup>.
  - ٤- ورود تفسير لمعنى صرهن بانه القطع فيكون المعنى ان كيفية تقطيع الطيور واعضائها وكومها راجع اليك في الكم والمقدار فلا يشترط التساوي في عدد الأعضاء ولا حجمها للتخفيف وعموم الآية ومنع الحرج وتحصيل اليقين، وهل يمكن القول بان في الكلام تقديماً وتأخيراً وان التقدير هو: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ انه بعيد وخلاف الظاهر ولا تصل النوبة اليه.
- لقد كانت آية سماوية واعجاز الهي تجلت فيه قدرته سبحانه على الخلق والإعادة، واستجابة الدعاء، فهذه الآية تبين كرمه سبحانه في زوال الحدود وحواجز الكم والكيف والأين في نزول الوحي واستجابته لدعاء عباده الصالحين، انه حث قرآني كريم

(١) سورة يوسف ٨٢.

(٢) سورة الشعراء ٦٣.

١٠٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
على التمسك بسلاح الدعاء وسؤال ما يخطر في البال مما لا يتعارض  
مع القواعد الكلية في الشريعة الإسلامية.

وتدل الآية على ارتفاع الحجب عن الدعاء وامكان تحقيق  
الغايات النبيلة به، بل انه وسيلة لتحصيل مقدمات الهداية والإيمان،  
فحينما يعجز الإنسان عن دعوة الغير الى الإسلام يتوسل الى الله  
تعالى بالدعاء لإراءته البراهين التي يزول معها الشك، ولتبقى هذه  
الآية دليلاً عقلياً ثابتاً ينتفع منه الناس على اختلاف مذاهبهم  
وازمنتهم بواسطة القرآن وتثبيته لتفاصيل هذا الإعجاز ويدعو الى  
التخلص من الغواشي الظلمانية والانتقال الى حال النظر الى البعث  
وكأنه امر حاصل وقريب فمتى ما ادرك الإنسان امكان تحقيق الشيء  
وقربه فانه يستعد له.

لذا ورد تأويل لإختيار الطيور الأربعة بحسب الخصال المذمومة  
والتخلص منها، فالطاوس يزهو ويتباهى ويحب الزينة والترفع،  
وروي ان الطاوس كان رجلاً جميلاً فكابراً امرأة رجل مؤمن  
فوقع بها ثم راسلته بعد ذلك فمسخهما الله طاوسين ذكراً وانثى،  
وفي الخبر ان الطاوس يدعو بالويل لخطيئته، وان خطيئته هي  
حملة الحية الى الجنة والشيطان فيها.

والديك رمز الشهوة والشغف، والحمامة عنوان الهدر والدعة،  
والغراب اشارة الى الحرص والطلب.

وعلى القول ان النسر احد الطيور الأربعة فانه رمز البطش  
والتعدي، فان اجتماع صفات الشر والشهوة في هذه الطيور اخبار عن  
صيورة الجميع الى الموت وحتمية البعث والنشور، ويدل بالدلالة  
التضمنية على ان الآية السماوية ذات منافع متعددة منها ما هو  
بالذات ومنها ما يكون بالعرض، والجزء من الشيء الطائفة منه،

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٠٤

- والجمع اجزاء ويأتي بمعنى النصيب.  
وجاء الجزء لإرادة الطيور الأربعة في ظاهره للغة الجمع في الجار  
والمجرور (منهن)، ولا يعني هذا ان الجزء هو الطير الواحد من  
الطيور الأربعة كما ذهب اليه ابو مسلم.  
ولكنه من الإجمال واللف والنشر أي من كل واحد من الطيور  
الأربعة، ثم ان التقطيع والخلط يجعل من الصعب الفصل بين اعضاء  
ولحوم الطيور، فهو يحتمل وجوهاً:
- ١- انه جزء من كل طير.
  - ٢- اصبحت اجزاء الطيور مختلطة ولحومها متداخلة.
  - ٣- كانت الجبال متعددة وجاء الأمر بتوزيعها على الجبال  
بعدد الأجزاء وليس بعدد الجبال.
  - ٤- لبيان عظيم قدرته تعالى وان ابراهيم له الخيار في كيفية  
التقطيع وكثرة الأجزاء لكل طير اتماماً للحجة فله ان ينظر الى الجبال  
القريبة ويجعل الأجزاء بعددها.
  - ٥- المراد من الجبال كل موضع من الجبل فيمكن ان تكون  
الجبال ثلاثة ولكن الأجزاء التي توضع عليه متفرقة عشرين جزءً من  
المجموع المختلط.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بُرَيْدُ يَا بُرَيْدُ سَعِيًّا﴾

في هذا الشطر من الآية يتجلى الإعجاز وقد جاء الإخبار عنه قبل  
حصوله وقبل البدء بالذبح، أي ان ابراهيم عليه السلام يزاول ذبح الطيور  
وهو يعلم ان الحياة سترجع اليها من جديد، في عوض وثناء عليه  
حينما اراد ذبح ابنه وهو يعلم انه سيموت ولا يرجع اليه.  
وهل هو قياس مع الفارق لأن الإبن ثمرة القلب، والطيور لا  
اعتبار لها ان لم ترجع، الجواب: ان اتحاد الموضوع جهتي يتعلق

بباب الإعجاز والإكرام والثواب.

وبعد ان قام ابراهيم عليه السلام بذبح الطيور وبتف ريشها وتقطيع كل طير منها الى عدة اجزاء وخلط لحومها وعظامها ودمائها، وامسك برؤوسها عنده، ثم قام بوضع الأجزاء على الجبال ثم صاح بها: تعالين باذن الله تعالى، فاخذ كل جزء يطير الى الآخر حتى تكاملت الجثث، ثم اقبلت كل جثة الى رأسها وانضم كل رأس الى جثته فرجعت الطيور احياء باذنه تعالى، انها مدرسة النبوة وما يتنزل في ساحتها من الفضل الإلهي.

وقال الرازي: "إحتج اصحابنا بهذه الآية على ان البنية ليست شرطاً في صحة الحياة وذلك لأنه تعالى جعل كل واحد من تلك الأجزاء والأبعاض حياً فاهماً للنداء، قادراً على السعي والعدو، فدل ذلك على ان البنية ليس شرطاً في صحة الحياة، قال القاضي: الآية دالة على انه لا بد من البنية من حيث اوجب التقطيع بطلان حياتها"<sup>(١)</sup>.

والنزاع صغروي لأنها قضية في واقعة اعجازية وامر خارق للعادة فلا يكون الحكم العام في المسائل الإبتلائية مستنداً اليها لوجود الفارق والمائز، فمن شرائط الإستدلال وحدة الموضوع او وجوه الشبه والتماثل، ففهم وسعي الأجزاء كان دليلاً على استجابة الأموات والجمادات له تعالى وهو جزء من استجابته لإبراهيم عليه السلام وطرده للشك والوهم.

فالمتسالم بين العقلاء ان الموتى لا يسمعون الكلام ولا يتحركون، فجاءت الآية لتثبت فهم وسماع وحركة اجزاء الموتى، كل جزء يفهم بذاته سواء كان عظماً او لحماً او دماً او ريشاً او جلدأ

(١) مفاتيح الغيب ٤٣/٧.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٠٦

خصوصاً وان سياق الآية اعجازي محض.  
وشرطية البنية كلاً او جزء يمكن معرفتها بالوجدان والواقع  
وقول اهل الخبرة وهم اطباء الأبدان والحيوان، وجاءت الآية بلفظ  
الدعاء والنداء أي من غير صراخ او صياح مع كونهن على الجبال  
وفي حال التقطيع والتجزئة، فمن الآيات ان تشترك الملائكة في نقل  
الدعاء او انها تهيء وتصلح الطيور وتصلحها للسعي وسرعة السير  
والطيران فاختيار لفظ الدعاء وحده آية اعجازية.

### بحث فلسفي

القديم واجب بذاته ويستحيل عليه العدم، اما ممكن الوجود  
فهو حادث قابل للعدم والزوال، والإنسان من عالم الممكنات فاراد  
ابراهيم النظر الى كيفية اعادة الممكن في ماهيته الأولى، والماهية لفظ  
من الإجابة عن سؤال (ما هو) لبيان ذات وحقيقة الشيء المعقول  
وهي اسم ذي الأبعاد الثلاثة من غير ملاحظة الوجود والإضافات  
كما في حقيقة الإنسان انه حيوان ناطق وانسان فلا يدخل في مفهومها  
الوحدة والتكثُر والصحة، والمرض، والوجود والعدم، والكلية  
والجزئية.

وتنقسم الماهية عدة تقسيمات منها قسمتها الى البسيطة والمركبة،  
والأولى ما لا جزء لها تتقوم منه ومن غيره، والثانية تتكون من  
جزئين او اكثر لا تتقوم الا بها، فالإنسان والطيور ماهية مركبة لأنه  
يكون من اجزاء البسيط كالجوهر الذي لا جزء له.

وهذا التقسيم استقرائي عقلي فانه لا بسيط في عالم التحقيق  
والتحليل، وقد ينظر الى الماهية بلحاظ جهتي، فيكون الطير  
بسيط بالنسبة للإنسان كمركب ولكنه لا يتحقق لأن الإنسان  
والطيور والحيوان مطلقاً تشترك بالمكونات الجزئية في الجملة وانها

١٠٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

تغادر الحياة عند الذبح والتقطيع.  
وكل جزء في الماهية المركبة محتاج الى الجزء الآخر المغاير لها  
ولا يستغني كل منهما عن الآخر، كما ان المركب ذاته يحتاج الى كل  
جزء من اجزائه، ويستحيل ان يكون الكل هو الجزء او حمل  
الجزء على المجموع المركب منه ومن اجزاء مغايرة له ذاتاً وموضوعاً.  
والتركيب على قسمين خارجي كتركيب الأعداد مثل الخمسة من  
الآحاد وعقلي وهو الذي يتكون من الجنس والفصل ولا بد من  
تناهيهما كالحوانية والجسمية، وبالذبح والتقطيع لم يعد جسماً ولا  
يصدق على الأجزاء المتفرقة بانها حيوان.

قوله تعالى ﴿وَاعْلَمَ أَنْبَاءَ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

من اسمائه تعالى العزيز والحكيم، فهو القوي الذي لا يعادله  
شيء، والغالب الذي يقهر كل شيء والمنفرد بالربوبية وباقي الخلائق  
بمشيئته كانت واليه تعود.

وهو الحكيم الذي اتقن كل شيء خلقه والعالم بوجوه الحكمة  
وافضل الأشياء واتمها ومنها انه خلق الإنسان في احسن تقويم،  
وجعل المعاد حقاً والبعث والنشور امراً حتمياً، فاعادة الموتى  
فرع قدرته المطلقة وسلطانه وليأتي احياء هذه الطيور اشراقه تكوينية  
واشارة عقلية وحسية للنظام الأحسن، ونفي للإمتناع العقلي او  
الواقعي لمسألة الإحياء بعد الموت.

وخاتمة الاية قاعدة كلية تدل على اتصال الايات منه تعالى  
وحسن تدبيره للخلائق وعدم استعصاء مسألة عليه، وهي دعوة  
للجوء اليه سبحانه والخشية منه والتضرع اليه والإستجابة له  
تعالى.

## قوله تعالى

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ  
سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الآية ٢٦١

## الإعراب واللغة

مثل، مبتدأ، الذين: مضاف اليه، وجملة ينفقون لا محل لها لأنها صلة الموصول.

اموالهم: مفعول به، والضمير: مضاف اليه.

كمثل حبة: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر، ويجوز تقدير

مضاف أي كمثل باذر حبة، حبة: مضاف اليه.

انبتت: فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، سبع:

مفعول به، وهو مضاف، سنابل: مضاف اليه مجرور بالفتحة لأنه

ممنوع من الصرف جاء على صيغة منتهى الجموع.

مئة حبة: مبتدأ مؤخر، وحبة: مضاف اليه، والجار والمجرور (في

كل) متعلقان بمحذوف خبر مقدم.

والله يضاعف: الواو استئنافية، اسم الجلالة: مبتدأ، يضاعف:

فعل مضارع، والفاعل ضمير مستتر يعود الى الله تعالى، والجملة

الفعلية (يضاعف) في محل رفع خبر لإسم الجلالة.

لمن: جار ومجرور.

جملة يشاء: لا محل لها لأنها صلة الإسم الموصول (من)

والله واسع عليم: الواو: عاطفة، اسم الجلالة: مبتدأ.

١٠٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

واسع: خبر اول، عليم: خبر ثان.  
والسنبله ساق نبت الحنطة ونحوها من الحبوب وهي مفرد السنبل  
من الزرع.

### في سياق الآيات

بعد آيات الإحياء والبعث والإعجاز والتحدي انتقلت الآيات  
القرآنية الى موضوع الإنفاق في سبيله تعالى لأنه عنوان الإيمان ومبرز  
خارجي يدل على استيلاء التقوى على القلب ومعرفة الإنسان  
بالمعاد.

وهذه الآية تمنع من التحير والدهشة والفرع من النشأة الآخرة وما  
بعد النشور لما فيها من الأخبار ضمناً عن امكان واحراز الأمان  
بالتوطة به بالبدل والعطاء في سبيله تعالى.

فبعد بيان اصل المعاد ولزوم الإقرار به جاء الحث على الإنفاق  
كوجه من وجوه الحكم الشرعي، وهو سبيل للإحياء في الدنيا  
والآخرة، اما في الدنيا فان الصدقة منسأة للأجل، واما في الآخرة  
فان الإنفاق في سبيله تعالى وسيلة لنيل رضوانه سبحانه، وبذا تظهر  
وجوه الإلتقاء بين هذه الآية وآيات الإحياء السابقة.

### اعجاز الآية

بعد بيان قدرته تعالى على البعث والنشور جاء الوعد الكريم  
بالمجازاة العظيمة التي لا يقدر عليها غيره سبحانه، وفي الآية توظيف  
سماوي كريم للمثل وتقريب الكلي العقلي الى الأذهان بلغة  
المحسوس، والواقع القريب المائل امام الأبصار في كل زمان  
ومكان، مع اعجاز اضافي وهو توكيد الآية على زيادة الأجر  
والثواب على نحو المضاعفة والتعدد والكثرة، فبعد بيان العدد

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١١٠

المتناهي جاء الوصف غير المتناهي لنفي الحدود عن كرمه  
وفضله تعالى وهو دعوة للهداية والرشاد.

### الآية سلاح

يعتبر موضوع الآية من مقومات تثبيت اركان الإسلام فالإنفاق  
وبذل المال مادة ووسيلة لتحقيق الغايات وتهيئة الأسباب  
والمقدمات، وجاء الإنفاق بقيد (في سبيل الله) من غير تحديد  
او حصر لوجوهه ليشمل كل ما يصدق عليه انه نافع في  
احكام الشريعة وفيه تعظيم لشعائر الله.

### مفهوم الآية

تمنع الآية من الشح مطلقاً وحبس الحقوق الشرعية وتدعو  
بقوة الى الإنفاق والعطاء وصرف الأموال تعظيماً لشعائر الله وفي  
رفعة الدين واعزاز المؤمنين، ولكنها لا تدل على حصر نصر  
الإسلام بقيام المسلمين بالإنفاق في سبيله تعالى فهو الواسع الكريم  
الذي لا تستعصي عليه مسألة واذا اراد امرأ هبئ اسبابه ومستلزماته  
ومقدماته بمشيئته تعالى، ومن قدرته سبحانه ان يجعل المعدوم  
موجوداً من غير اسباب ومقدمات، والآيات السابقة تشير الى  
موضوع البعث في غير اوانه ومن غير علة مادية.

لقد تضمنت الآية المدح والثناء على الذين ينفقون أموالهم في  
سبيل الله ويعطون الحق الشرعي ويخرجون الزكاة من أموالهم، ومن  
مفاهيم هذا المدح حثهم على الإستمرار على الإنفاق وردع الذين  
يحاولون نهيم عنه ويدعونهم الى الإمساك خشية الفاقة والحاجة  
والخسارة او تعرض المسلمين للهزيمة سواء كانوا من داخل بيوتهم او  
ارحامهم او من المعارف والأصدقاء، كما انها تكبت المنافقين  
والجاحدين الذي يستهزؤون بمن ينفق امواله في سبيل الله ويسعون

لثنيه وصدده عن البذل وتيسير الحوائج.  
ان الإنفاق في سبيله تعالى جهاد بالمال واحياناً يكون جهاداً  
بالنفس لما فيه من التضحية وتعريض النفس والعيال لإحتمال  
الحاجة في المستقبل، فجاءت الآية القرآنية لتنفي العوز عن المنفق  
وتعد بالعوض الجزيل والثواب العظيم، وتدعو الى التطلع المستمر  
الى فضله تعالى وانه يسع كل شيء وليس لعطائه وكرمه سبحانه  
حدود، ومتى ما تعلق العبد بما عند الله هانت عليه الدنيا وتوجه  
بعشق وانجذاب الى اداء العبادات والفرائض.

### التفسير

قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
جاءت الآية بصيغة المثل ولكنها خطاب تكليفي وتشريعي  
لكل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان، وفيه حث على الطاعات  
ببذل المال الشخصي كواسطة وسبب وعون للآخرين على  
دنياهم وآخرتهم، فمنافع الإنفاق في سبيله تعالى لا تنحصر  
بشخص المنفق بل تشمل الذي يستفيد منه والذي يعلم به رؤية او  
سمعاً او نقلاً وحكاية كما ينفع ورثة المنفق بما يعود عليهم من  
الجاء وحسن الصيت بالإضافة الى الأثر المعنوي وترشح الثواب من  
الإنفاق عليهم وهو من مصاديق مضاعفة الثواب للمنفق بان ينتفع  
منها المنفق نفسه ولكن في ذريته وعقبه.

والآية دعوة للإنفاق بذكر المثل المشرف والشبيه الجذاب، وفيه  
انتقال للذهن من حكم مضاعفة الزرع والحاصل الى ثواب الإنفاق،  
لينفذ الأمر المولوي الى اعماق النفوس ويخلصها من حب الدنيا

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١١٢

والتمسك بزيتها ويزيح سلطان الطمع عنها ويحثها على الكسب الأخرى.

وكما يحتاج الإنسان الزراعة للغذاء ولا يستطيع الإستغناء عن الطعام فان الإنفاق حاجة لقوام الشريعة وسنن الحياة، وبالإنفاق في سبيل الله يتحقق النصر ويطرد الكفر وتضعف شوكة النفاق.

واختيار السنبلة امر له خصوصية تبين الإلتقاء ووجوه الشبه بين موضوعية سنبلة الحنطة والشعير في زاد الإنسان اليومي وبين الأثر الفعلي المتصل للإنفاق في سبيله تعالى على الفرد والأمة والناس مطلقاً، فكما انه لا يستغني احد عن الحنطة ونحوها من الحبوب فكذا الإنفاق كل انسان يحتاجه مسلماً كان او غير مسلم أي ان وجوه الحاجة للإنفاق اربعة:

١- حاجة المنفق نفسه.

٢- المنفق عليه او الذي يصله الإنفاق.

٣- الساعي والوسيط بالانفاق.

٤- الناس الآخرون الذين يؤثر بهم الإنفاق.

ان الإنفاق في سبيل الله دعوة الى الإيمان والهداية وباب للتوفيق وتشجيع على الصالحات، فحينما يقوم انسان بالإنفاق فانه يدعو ويحث غيره على الإنفاق لما فيه من الأسوة والقدوة، وهو مناسبة ليرى الناس ما يترتب على الإنفاق من الأثر الحسن.

وقد يقع الإنفاق على الكافر فيكون له اذى، كما في الذي ينفق الأموال لتجهيز الغزاة بالعدة والسلاح، فهذا الكافر يخرج بالتخصص لأنه اختار بنفسه الإعراض عن الحق وتحمل الأذى في الدارين.

وقد ينتفع من الإنفاق في الدنيا سواء باسلامه عند رؤية قوة وعز

١١٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
الإسلام او بالترغيب الذي يمثله نكران الذات والسخاء الذي عليه المسلمون، الا ترى ان لبس الحرير لا يجوز في الشريعة الا انه جائز في ميدان المعركة ليدو المسلمون بحال من النعمة والسعة وكأنه دعوة للآخرين لدخول الإسلام.

وهذا المثل يحكي رضاه سبحانه عن الذين يبادرون الى اخراج الزكاة والصدقات الواجبة والمندوبة، ويبين قدرته سبحانه على الجزاء والثواب وعدم وجود مانع او حائل دونها، كما تبين الآية احاطته علماً بكل شيء، وعظيم كرمه واحسانه، فالمال الذي ينفقه العبد من عنده تعالى، وحينما يتصدق العبد بجزء منه يأتيه الجزاء الأوفى.

لقد اراد الله عز وجل بهذا المثل من المسلمين ان ينزعوا رداء الدنيا عن كواهلهم ويتخلصوا من الطمع والشح والبخل وما فيها من الكدورات التي تحجب الإنسان عن رؤية ما في الإنفاق من السعادة الذاتية والمعنوية والآثار الكريمة، فبمجرد ان يقوم الإنسان بالإنفاق يحس بغبطة ورضا عن النفس ويكون في مقام الشكر له تعالى على التوفيق للإنفاق والعطاء.

ومن الإعجاز والدقة في الآية انها لم تذكر الإنفاق على نحو الإطلاق بل قيده (في سبيل الله) ولو لم تقيده لأستغلها اعداء الدين والمنافقون ومن في قلوبهم مرض لتحقيق غاياتهم الدنيئة ومقاصدهم الخبيثة ولجعلوا الإنفاق في الشهوات وما تميل له انفسهم من عمومات الآية تعدياً ولحصل النزاع في مصاديقها وأحكامها.

ولكن الآية جاءت لبناء الإسلام واصلاح المجتمعات ودرء الفتن ودفع الخصومة والشقاق فلا بد ان تتصف بالكمال موضوعاً وحكماً وامراً فهي من الآيات المحكمات التي لا تحتمل تأويلاً آخرأ،

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١١٤

فلم تدع الا للإنفاق في سبيله تعالى وهو عنوان وسور جامع للخيرات  
ووجوه البر.

فيدخل فيه كل ما يقصد به وجه الله تعالى وطاعته والتقرب اليه  
واعانة المسلمين والصابرين ومساعدة الحجيج ومد يد العون  
للفقراء والمساكين من المسلمين، وبذل المال واخراجه من اليد في كل  
ما يرضي الله عز وجل، ومنه ايضاً بناء المساجد والمستشفيات  
والجسور والمدارس واعمارها واصلاحها واعانة طلبة العلوم الدينية  
لتعاهد احكام الشريعة والتفقه فيها والتبحر في علوم القرآن ومنع  
اندراس العلوم الإسلامية واعانة ابن السبيل واکرام الضيف ونصرة  
المظلوم وبذل المال في درء الفتن والإصلاح بين المتخاصمين.

### بحث أخلاقي في المثل القرآني

لقد جاء المثل في هذه الآية بصيغة الحكمة لذا اعتبرت الأمثال  
حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، ولقد احسن القرآن توظيفه  
ليرتقي باستعمال المسلمين للمثل بما لم تبلغه امة او ملة من الملل،  
فهذا المثل مدرسة وحكمة يتصف بالإيجاز واصابة المعنى والتشبيه  
الكريم وايصال المفهوم وتيسير معرفة المطلب وقد تقدم في الجزء  
السادس بحث مفصل عن الإعجاز في المثل القرآني.

وصحيح ان هذا المثل جاء للحث على الإنفاق وبيان عظيم نفعه  
فانه في مفهومه يدل على الزجر والنهي عن الشح وحبس الزكاة  
وتأخير اخراجها ولا ينحصر الأمر بالحقوق الشرعية فقد لا تقوم  
بالحاجة الآتية من خلال امتناع بعض الناس عن ادائها فجاءت الآية  
للدعوة الى الإنفاق مطلقاً أي الواجب والمستحب ومن غير تقييد  
وتحديد لمقداره وكمه وكيفيته وهو من الكلبي المشكك الذي يقع على  
مراتب متفاوتة كثرة وقلة.

١١٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

ويأتي المثل من حادثة او واقعة ويصبح مشهوراً بين الناس وتتداوله الألسن ليكون كناية وتعريضاً او مدحاً متعلقاً بصفة او فعل معين، اما المثل القرآني فهو تأسيس لمدرسة بلاغية وجهادية وعقائدية واخلاقية تتعدى اوهام البشر وبينما تتهاوى امثلة الشعوب مع التداخل بين الأمم والتزاحم والتبدلات الموضوعية والحكمية فان امثلة القرآن باقية خالدة تستنبط منها الدروس والعبر وتأخذ منها جميع الأمم على اختلاف مشاربها لأنها لم تبتن على الهوى او العاطفة او المزاج ولم تأت عن واقعة بل انها نازلة من السماء واحكمت اطرافها بدقة اعجازية فهي حجة ونبراس ودعوة.

وبينما تحكي امثلة الشعوب واقعة او تعكس حالة معينة، فان المثل القرآني يتضمن الوعد والوعيد فهذه الآية اخبار عن الثواب العظيم في النشاطين لمن ينفق في سبيل الله وتخويف وانذار لمن يشح بها، انه وسيلة لحفظ النظام وتعاهد القيم المتعارفة وعون على سيادة الإسلام.

ان الإنفاق في سبيله تعالى حياة في النشاطين لذا جاءت آية الإنفاق في سبيله تعالى بعد آيات الإمامة والإحياء، أي من شاء الحياة وطول العمر فلينفق في سبيله وكذا بالنسبة للبخل والإمساك فيه امانة وقصر العمر وعدم صرف البلاء والمرض وموت الفجأة، فمن مفاهيم هذه الآية شراء طول العمر وحسن العاقبة بالإنفاق في سبيله تعالى واجتناب البخل وهو من اسرار سياق الآيات.

وجاء في دلائل الإمامة عن الإمام الحسين عن أمه الزهراء عليها السلام انها قالت: (قال لي أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إياك والبخل فانه عاهة لا تكون من كريم، وإياك والبخل فانه شجرة في النار، واغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من اغصانها

ادخله النار).

والبخل: الشح في الشيء وخلافه الجود، وللبخل معنيان، ففي العرف منع السائل وقلة الكرم، وفي الشرع منع الواجب، ومعناه العام منع العطاء والشح بالعلم والنصيحة، واهل البيت عليهم السلام للعصمة وتاديب النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزهون عن وجوه البخل والشح مطلقاً، ولقد جادوا بأرواحهم الطاهرة في سبيل الله وشوقاً للقائه وتثبيتاً لاركان الاسلام في الارض. وعملاً بأصالة الاطلاق في علم الاصول فان المراد من البخل المنهي عنه في الحديث هو المعنى الاعم الشامل لوجوه الشح والامساك في الميادين المختلفة وعلى كافة مراتبه، اذ انه من الكلي المشكك الذي له مراتب متعددة ومتفاوتة ولكنها تشترك بمعنى وموضوع واحد.

قوله تعالى ﴿كَمَلِّ حَبَّةً أُبْتَتِ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِيهِ كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةً﴾<sup>(١)</sup> الحبة واحدة حبة الخنطة ونحوها من الحبوب كالشعير والعدس والأرز، وذهب ابن منظور الى التفصيل بين الحبة - بفتح الحاء - وهو بزر ما بذر بذراً، اما الحبة - بالكسر - فهو بزر كل نبات ينبت وحده من غير ان يُبذر. وقال ابن دريد: انه بزر العشب<sup>(١)</sup>.

ومن اعجاز القرآن ان تواجهك في كل آية مسألة تستلزم التحقيق واستنباط الأحكام وتتعدد فيها الأقوال مع ادراك اولي الألباب بان تلك الأقوال لم تستوف البحث ولم تعط موضوع واحكام الآية حقها، لتبقى الآية تعرض نفسها على أهل المعرفة

(١) لسان العرب ٢٩٤/١.

وحملة العلم.

واختلف المفسرون في امكان حصول ما ورد في الآية من مثل السنابل السبع وحمل كل واحدة منها مائة حبة، ولم ينحصر الخلاف والنقاش بهم بل شمل عامة المسلمين في متدياتهم ومجالسهم مع اقرارهم بنزول الآية من عنده تعالى وفي الآية وجوه:

- ١- ان المثل ممكن التحقيق وهو ليس معدوماً واقعاً.
- ٢- شوهه المثل في سنبله نبت يسمى الجاورس ولم يثبت.
- ٣- انه مجرد مثل والأمثلة تضرب ولا تقاس.
- ٤- ان السبعة والمائة والسبعمئة عنوان الكثرة والزيادة والعرب تعتمد السبعة والسبعين والسبعمئة للدلالة على الكثرة والتعدد. المختار ان المثل في هذه الآية متقدم على زمانه وهو بشارة التحصيل العلمي وتحقيق هذا العدد من الناتج للحبة الواحدة مستقبلاً سواء بالإستنساخ النباتي او نباتات الأنابيب وزراعة الأنسجة او الهندسة الوراثية، والأخير هو الأصلح لهذا الباب في انشطار الخلية الخضرية واجراء دراسات وعمليات مخبرية لأحداث طفرات للحبة تجعلها تعطي هذا العدد من الحبات. فحينما يحصل هذا الأمر قريباً يدرك الناس اعجاز القرآن في هذه المسألة وانه اخبر عن حصولها وامكان تحقيقها قبل اكثر من الف واربعمئة سنة ويمكن ان يزيد العدد في بعض الحالات على سبعمئة حبة ليكون مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ولمنع الشك والريب، وترك باب العلم مفتوحاً للمزيد من الدراسات والتحصيل والنفعة العام، بل ان هذه الآية دعوة لتحسين الناتج من الحبوب ونحوها واستثمار العلوم في باب الزراعة، وهو حاجة ورد

عملي على اولئك الذين يقولون بتحديد النسل خشية الفقر والإملاق.

وعدم وجود هذا الصنف من الحاصل في الحبوب زمن النزول لا يضر باصل الموضوع لأن القدر المتيقن من المثل بيان عظيم فضله واحسانه تعالى وانه يفوق حد التصور وان نواميس السماء اعظم واكبر من القواعد الكلية في الأرض وعالم الدنيا، وفي الآية اشارة الى ثمار الجنة وما لها من خصوصيات كريمة مما لم تره عين او تسمع به اذن.

ومن الإعجاز في الآية عدم ذكر البذر في الأرض بل جاء المثل بلحاظ الحبة مطلقاً سواء بالبذر في الأرض او بما ينبت من غير عمل من الإنسان كما في العشب او من المعالجة الصناعية، وعلى فرض عدم وجود مثل هذا العدد من السنابل وثمار البذر فانه اعجاز آخر للدلالة على ان ثوابه تعالى اعظم مما في الدنيا، وان عطاء الآخرة وما في الجنة من الثمار اعظم واكثر واكبر مما في الدنيا.

وتعقب الإنبات للحب يتضمن الإخبار عن الثواب العاجل وعدم انحصاره بالثواب الأخروي، فالآية بشارة السعة والغنى للمتفقيين في سبيل الله، ومن اراد الثروة والمال في الدنيا فلينفق في سبيل الله، وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: "التوحيد نصف الدين واستنزوا الرزق بالصدقة"، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "تصدقوا فان الصدقة تزيد في المال كثرة فتصدقوا رحمكم الله".

والصدقة بعض مصاديق الإنفاق في سبيله تعالى، واذا قسمنا الإنفاق تقسيماً استقرائياً فمنه الإنفاق تعظيماً لشعائر الله ومنه ما يكون باباً من ابواب الجهاد والرباط، وما يحتل موضوعية في حفظ

أحكام الشريعة.

ومن منافع الإنفاق انه حرب على خصلة الطمع الذميمة عقلاً  
وشرعاً، وعن الإمام علي عليه السلام: "أكثر مصارع العقول  
تحت بروق المطامع"، وفيه شكر لنعمة الإيمان والمال.  
والآية ترغيب بالإنفاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً.  
وهذه الآية بشارة دخول الجنة بالإنفاق لأن عدم حصول هذا  
الثمر والتكثير في الدنيا اخبار عن نيل المؤمن عظيم الثواب في الآخرة،  
فهذه الآية تدل على طريق من طرق الجنة وباب من ابوابها يدخله  
المسلم بانفاقه في سبيل الله تعالى ولكن الإخبار جاء على نحو  
الإشارة والترغيب والتحريض لموضوعية الفرائض في حياة المسلم  
ولزوم ادائها، لذا جاء قيد (في سبيل الله) ليكون الإنفاق بنية القربة  
والطاعة لله وليس رياء او فخراً او لأغراض دنيوية.  
وتبين الآية الدقة في مقدار الثواب المقرونة بالكثرة والتعدد والله  
عز وجل اذا وعد وفى.

قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

احسان و ثواب اضافي لا يقف عند حد محدود ومن الإعجاز فيه  
انه جاء بعد ذكر الكم الهائل من الثواب والسبعمائة ضعف وورود  
مثل السنابل بياناً وتذكيراً بمنافع و ثواب الإنفاق في سبيله تعالى.  
ولم تجعل الآية للمضاعفة وصفاً معيناً او مقداراً معلوماً بل  
ذكرت على نحو الإطلاق والتكثير مما يعني عدم الحصر، وعدم  
الحصر هذا لا يتعلق بالحكم وحده بل يشمل الكيف والزمان والمكان  
والأشخاص فمن الزمان توالي الثواب مع تقادم الأيام والسنين فقد  
يثيب الله عز وجل العبد على انفاقه في سبيل الله بعد سنة او سنتين

## معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٢٠

او عشر او عشرين سنة او خلال هذه المدة كلها وما زاد عليها.  
وتعدي موضوع المضاعفة ايام الحياة الدنيا وشموله للأخرة مما لا  
يختلف فيه اثنان من المليون لأن المدار على الآخرة وحاجة الإنسان  
لرحمته وفضله تعالى حينئذ اشد واقوى.

ومن الأشخاص ان المضاعفة تشمل الذرية وقد تشمل الأرحام  
والجيران والأصدقاء لذا جاء المثل بالحبة والسنبلة الملكوتية لأن المنافع  
من الطعام لا تنحصر بالشخص نفسه باذراً او زارعاً او مالكاً  
والثواب من الكيف والنوع لأن العوض لا يكون بالمال وحده بل  
بالمال والأجر ومحو الذنوب وطول العمر ودفع البلاء والأذى وصد  
المكر والكيد ورفع المرض والوهم واسباب الحزن والخوف.

بالإضافة الى التوفيق واستدامة الهداية والإعانة على امور الدين  
والدنيا، وهذا التباين الموضوعي بين الأعيان التي تنفق وبين  
مصاديق الثواب لا يمنع من معرفة المضاعفة بموازين السماء  
والعقل، فلو اتفق ان ابتلي الإنسان بمرض يعاني معه من الألم  
ويجعل النوم يغيب عن عينيه فانه يود لو انفق كل ماله من اجل  
الشفاء العاجل، اما الإنفاق في سبيل الله فانه سبيل لدفع المرض  
وحائل دون الإبتلاء به وهو سبب في محوه وان كان مكتوباً.

وقد اختلف الفلاسفة وعلماء الأخلاق بإمكان او استحالة تغيير  
الأخلاق المذمومة عند الإنسان الى اضدادها من الأخلاق الحميدة  
والصفات الحسنة.

والحق انه امر ممكن وان الإنسان في حال تلقي وتأديب مستمر  
في ليله ونهاره وايام عمره، نعم هو امر مختلف بلحاظ السجايا  
والعادات ودرجة ترشح بعض المفاهيم في الذهن وبروزها على  
الجوانح والأركان، فكلما كانت اكثر ثباتاً في النفس تحتاج تعليماً

١٢١ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
وتأديباً أكثر، لذا جاءت الآية القرآنية بالبشارة العظيمة التي يسعى  
لنيلها كل انسان سواء كان مؤمناً او كافراً ولكنها اخرجت الكافر  
بالتخصص بذكر قيد (في سبيل الله) من غير ان تحجبه نهائياً عن  
الإنقاذ منها بل دعت الى الإسلام اولاً كي يصدق منه قصد القربة  
ونية الإخلاص والسعي لإقامة الدين.

وهذه الكثرة في افراد الثواب حجة على الناس جميعاً ودعوة  
لهم لعدم التفريط بها ولزوم استثمار الحياة الدنيا لإرادة الربح  
الأخروي وللعلم بان افضل التجارات ما كان في سبيل الله كما ان  
انتظار الثواب بعد الإنفاق مناسبة كريمة للتعلق برحمته تعالى والتطلع  
الى اياديه الكريمة، والأمل بنزول الفيض والبركات منه سبحانه وهذا  
الانتظار يقترن بالدعاء والصلاح واداء العبادات، فالآية منهاج  
متكامل لتهديب نفس المسلم والأخذ بيده الى سبل النجاة والفوز في  
النشأتين.

وضعف الشيء مثلاه، وقال الزجاج: واضعاف الشيء: امثاله،  
وقال ابن منظور: اما كتاب الله عز وجل فهو عربي مبين، يرد تفسيره  
الى موضوع كلام العرب الذي هو صيغة الستتها، ولا يستعمل فيه  
العرف اذا خالطته اللغة، والضعف في كلام العرب اصله المثل الى ما  
زاد، وليس بمقصود على مثلين وقال ان الضعف في كلام العرب  
زيادة غير محصورة<sup>(١)</sup>.

فقوله تعالى (يضاعف) يحمل عدة وجوه:

١- المضاعفة بالمثل فيكون المراد منها ان الثواب الف واربعمائة  
مرة.

---

(١) لسان العرب ٩ / ٢٠٥.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٢٢

٢- المضاعفة بمثلهن، وهو مقدار السبعمئة مع ضربه في ثلاثة، ويقول العرب هذا ضعفه أي مثلاه وثلاثة امثاله.

٣- المقصود من المضاعفة عشرة امثال لقوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتَالِهَا﴾<sup>(١)</sup>.

٤- (أقل الضعف محصور وهو المثل، واكثره غير محصور)<sup>(٢)</sup> فيكون المراد ان المضاعفة في الآية قد تكون بالمثل وقد تزيد عليه مرات عديدة، فلو انفق اثنان كل منهما مائة دينار، والأول لا يملك غيرها او انها شطر ماله، بينما لا اعتبار لها بالنسبة لأموال واملاك الآخر فان الثواب يختلف كثرة وقلة الا ان يشاء الله. ٥- الضعف هو الزيادة مطلقاً، يقال ضعف الشيء يضعفه اذا زاد، وفي الحديث: "تضعف صلاة الجماعة على صلاة الفرد خمساً وعشرين درجة" أي تزيد عليها بهذا العدد من الدرجات.

ومن الإعجاز في الآية الكريمة ان هذه الوجوه الخمسة كلها من مصاديق المضاعفة في الآية ولا تعارض بينها، بل ان التعدد ووجود طرفي الكثرة والقلة فيها دعوة للإجتهد في الإنفاق في سبيل الله وعدم التردد فيه وهذه المضاعفة مقيدة موضوعاً وحكماً بمشيئته سبحانه، أي بعد ان اخبرت الآية عن الأجر العظيم للإنفاق وان الدرهم بسبعمئة درهم وهو اجر من ينفق بنية القرية مطلقاً سواء كان غنياً او فقيراً رجلاً او امرأة، حراً او عبداً.

وجاءت المضاعفة مقيدة بمشيئته تعالى، وهذا التقييد لا يعني التشديد ووضع الشرائط وايجاد الموانع، بل انه في حقيقة دعوة

(١) سورة الأنعام ١٦٠.

(٢) لسان العرب ٢٠٥/٩.

١٢٣ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
لنيل هذه المضاعفة وهذا من لطفه وكرمه تعالى ومن اسرار المعارف  
الإلهية فالآية تحث على نيل مضاعفة الأجر، وتلك التي جعلها الله  
عز وجل بيده ولكنها كالثمر المتدلي من السماء يدعو المنفقين الى  
اقتطافه واحرازه من غير ان يضر اقتطاف البعض بحق الآخرين في  
نيله بالذات او غيره لأن خزائنه سبحانه لا تنفذ.

ونيل الأجر المضاعف بوجوه:

١- الدعاء.

٢- الإخلاص وحسن القصد والنية الصادقة.

٣- ما يتعلق بمواضع الإنفاق وهل هو على نحو القضية الشخصية  
ام انه جاء لبناء دعائم الدين والحفاظ على احكام الشريعة  
وابواب الجهاد.

الجواب: كلاهما معاً من غير تعارض بينهما مع الاقرار بالتباين  
الرتبي وان الأولى فرع الثانية وجزء منها.

وفي الآية حذف وتقديره والله يضاعف الثواب لمن يشاء من  
المنفقين، انه ترغيب كريم بالإنفاق وهو من اللطف الإلهي الذي  
يعني في الإصطلاح تقريب العبد الى الطاعة وابعاده عن المعصية،  
فان النفوس تميل الى الجزاء الحسن وتحب ولوج اسبابه ومقدماته،  
فالآية تضيف نوع غبطة وسرور على المؤمن ساعة الإنفاق  
وتجعله يقبل بشوق على مواطن الإنفاق وهو ينزع رداء الشح  
والبخل ويمتنع عن الإلتفات الى النفس الشهوانية وما يدعو الى  
الخشية من المستقبل المجهول، ويدل مضمون الآية على قهر النفقة  
لغدر الأيام وغواشي المصائب والفواجع، فالنفقة تدفع البلاء وما  
يستلزم الإنفاق القهري.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٢٤

ان قوله تعالى ﴿لَمَنْ يَشَاءُ﴾ حث على التقوى وفعل ما يؤدي الى نيل المضاعفة، وهو مناسبة لإصلاح النفس وتعاهد الإنفاق بحسن السمات واداء الفرائض وعدم خلط الحسنة بالسيئة، وهل ينحصر الإنفاق في الآية الكريمة بالمال والأعيان ام يشمل الإعتباريات، الجواب: هو الأخير فانه يشمل من ترك الجاه والمنصب في سبيله تعالى وترك الراحة والدعة، واختار الهجرة والغربة وما فيها من الوحشة والمشقة والعناء وما يحتمل من الأذى والإبتلاء.

قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

من اسمائه تعالى "الواسع" وهو الذي وسعت رحمته كل شيء ولا تنفذ خزائنه، ولا يخرج عن قدرته شيء وهو العليم الذي احاط بكل شيء علماً، وجميع الأشياء حاضرة عنده يعلم ذاتها وماهيتها وحقيقتها وما كان وما يكون.

فهو الذي يسع فضله جميع المحسنين ولا تضره مضاعفة الثواب اضعافاً كثيرة، والمضاعفة لا تنحصر بالكم والمقدار بل تشمل الكيف والإستدامة وهو العالم بكل ما يبذل في سبيله ومن يجاهد بماله ونفسه وجاهه واجتماع صفة الواسع والعليم في هذه الآية له دلالات تتعلق بالعطاء الإلهي غير المتناهي وباحاطته علماً بكل شيء، ومنه الدعاء والتضرع من اجل قبول الإنفاق ومضاعفة الأجر واتصاله وتفرعه وتعدد ميادينه وعدم الوقوف عند الإنفاق نفسه، والله هو الشكور الذي يجازي على الإحسان والجود.

### بحث روائي

اخرج ابن ماجة عن الحسن بن على بن أبى طالب وأبى الدرداء

١٢٥ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

وأبى هريرة وأبى امامة الباهلى وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: "من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم، ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾" (١).

أي ان المضاعفة تكون بالجهاد بالنفس فاذا خرج المنفق نفسه الى الغزو والقتال او المرابطة فمن بركات هذا الخروج ثوابه الذي يترشح على المال الذي ينفقه بزيادة الأجر ومضاعفة الجزاء الحسن، وهذا سر من اسرار فلسفة الجهاد في سبيله تعالى وبيان موضوعية واهمية المبادرة الى الجهاد بالنفس خصوصاً وانه يكون احياناً واجباً عينياً على المكلف.

وبيين الحديث الشريف ان الإنفاق على مراتب وارقاها واسناها ما يطرأ عليه الإنفاق بالخروج الى القتال والمخاطرة بالنفس وهي اغلى ما عند الإنسان، ويمكن القول انه من موازين يوم القيامة ان يكون ملاك وقدر انفاق مالي لبذل النفس والجهاد بالسيف في سبيله تعالى، كجزء من موازين يوم القيامة وما لها من ضوابط وقواعد مبنية على الرأفة والرحمة ولا يكون التباين في الماهية مانعاً من التمايز الاجمالي، لو ان المقادير تعرف بلحاظ مقدار الأجر والثواب فيستقرأ منه المائز.

فيأتي شخص يوم القيامة وقد انفق ديناراً في سبيل الله، ويأتي آخر قد خرج بالسيف وجاهد بنفسه في سبيل الله ليكون تقديراً

---

(١) الدر المنثور ١/٣٣٦.

معالم الايمان / ج ٣٩ \_\_\_\_\_ ١٢٦

لإنفاق مالي له بخروجه هذا، ولا بد ان يكون مقداره اضعاف ما ينفق غيره من ماله لأن الجود بالنفس غاية الجود، وما يصلح ان يكون ضميمة ومرجحاً يصلح ان يكون بذاته ذا اعتبار وشأن في نفس الموضوع.

وقد ورد في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام: "إذا احسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكل حسنة سبعمائة ضعف فذلك قول الله: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فأحسنوا اعمالكم التي تعملونها لثواب الله، قلت: وما الاحسان؟ قال: إذا صليت فأحسن ركوعك وسجودك، وإذا صمت فتوق ما فيه فساد صومك، وإذا حججت فتوق كل ما يحرم عليك في حجتك وعمرتك، قال: وكل عمل عمله فليكن تقياً من الدنس".

وفيه عن الصادق عليه السلام ايضاً: "إذا احسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكل حسنة سبعمائة ضعف وذلك قول الله ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فأحسنوا اعمالكم التي تعملونها لثواب الله"، وفيه مسائل:

الأولى: ان المضاعفة اعم من الإنفاق وبذل المال بل انها اعم وتشمل كل عمل صالح يعمله المؤمن وهو مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتقدم.

الثانية: الحث على اتيان الصالحات والإكثار من الحسنات رجاء الثواب العظيم.

الثالثة: ان الأفعال العبادية على مراتب متفاوتة في الحسن واعلاها ما جاء عن اخلاص وحسن اداء وحرص على تمام الإمتثال والاستجابة.

١٢٧ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩  
ولا ينحصر الأمر بالعبادات بل يشمل جميع ابواب البر  
واصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحمل  
الإنفاق في الآية على اطلاقه لإصالة الإطلاق ولسعة وعظيم فضله  
تعالى.

(والتعبد: التنسك والمواظبة على العبادة لذا يقال للدائم على  
العبادة العابد والمتعبد، والعبادة في اللغة هي الخضوع والتذلل،  
وبحسب الاصطلاح إتيان الأمور به طاعة واستجابة وبقصد القربة،  
والفاعل عابد والجمع عبَاد، ويمكن تقسيم العبودية من حيث متعلق  
الاداء الى وجوه ثلاثة:

الاول: ما يجب على الابدان كالصلاة والصوم والعمل بالفروع  
الشرعية الأخرى.

الثاني: ما يجب على النفوس في باب العقيدة والفكر والمباديء  
السليمة واكتساب العلوم الدينية واخضاع السلوك والأخلاق  
والصفات النفسية لاحكام الشريعة.

الثالث: ما يجب من انماط السلوك والمعاملة في ابواب التجارة  
والزراعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واداء الامانة  
والتزام الصدق ونبذ القبائح.

ومن مفاهيم الإطلاق في مفهوم التفقه ما دلت عليه بعض  
النصوص بشمول الكسب والطلب للعيال بعمومات السعي في  
سبيل الله، وقد اخرج عبد الرزاق في المصنف عن ايوب قال:  
"اشرف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من رأس تل،  
فقالوا: ما أجلد هذا الرجل لو كان جلده في سبيل الله، فقال النبي  
صلى الله عليه وسلم: أو ليس في سبيل الله الا من قتل، ثم قال: من  
خرج في الارض يطلب حلالا يكف به والديه فهو في سبيل الله،

معالم الايمان / ج ٣٩ ————— ١٢٨

ومن خرج يطلب حلالا يكف به أهله فهو في سبيل الله، ومن خرج يطلب التكاثر فهو في سبيل الشيطان"<sup>(١)</sup>.

ويدل الحديث على سعة مفاهيم سبيله تعالى وتشمل السعي والكسب للعيال واجتناب الذل والحاجة الى الناس، لأن الغنى عما في ايدي الناس مناسبة كريمة للنظر الى الأمور بتدبر وبصيرة ومن غير حواجز ظلمانية مترشحة عن الطمع والفاقة والعوز والرياء ونحوه من الإخلاق الذميمة التي تكون مقدمة او مصاحبة او نتيجة لما يفضل به الناس.

### بحث بلاغي

يقسم الكلام بلحاظ معاني الجمل وكيفية اتصال المطلوب وتحقيق الإفهام منه الى ثلاثة اقسام:

١- الإيجاز: وهو الذي يأتي فيه المعنى بكلمات قليلة تفى بالعرض وتحقق اتصال المعنى مع الإبانة كما في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ وما فيه من الكثرة والزيادة والتعدد في الثواب، واقترانها بالمشيئة والإرادة الإلهية.

ينقسم الى ايجاز قصر وايجاز حذف، وهو من اسرار البلاغة ويدفع العقل للمشاركة في الفهم وايجاد وسائط بين اللفظ المتحد ومعانيه المتعددة قال الإمام علي عليه السلام: "ما رأيت بليغاً قط الا وله في القول ايجاز، وفي المعاني اطالة" وقيل لشاعر: لم لا تطيل شعرك؟ فقال: حسبك من القلادة ما احاط بالعنق.

---

(١) الدر المنثور ١/٣٣٧.

١٢٩ \_\_\_\_\_ معالم الإيمان / ج ٣٩

٢- المساواة: وهو الذي يكون فيه اللفظ مساوياً للمعنى في البيان والأخبار وهو الأصل في الكلام والميزان الذي يعرف بالمقارنة به الإيجاز أو الإطالة.

٣- الإطناب: وهو عبارة عن الزيادة في اللفظ والتفصيل في التعبير والإكثار من الدلالة والإيضاح لإفادة المعنى أي ان الزيادة ذات فائدة ولها معنى، اما اذا لم يكن لها نفع في الأفهام فهي حشو او تطويل، فبين الحشو والاطناب عموم وخصوص من وجه، مادة الإلتقاء وهي الزيادة ومادة الإفتراق هي الزيادة ذات النفع في الإطناب والزيادة الخالية من النفع في الحشو والتطويل.

ومن وجوه المضاعفة لحاظ اوان الإنفاق وزمان الحاجة الى المال سواء في صورة الدفاع والمحافظة على بيضة الإسلام او في حال الغزو والقتال و ارادة الفتح، ويظهر هذا التفصيل جلياً في القرآن بقوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (١).



---

(١) سورة الحديد ١٠.